محاضرات مقياس مدخل إلي علم الاجتماع

سنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

المحاضرة الأولى: من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع:

تمهيد:

نشأ علم الاجتماع شأنه في ذلك شأن كثير من العلوم الاجتماعية الأخرى, مرتبطا بالفلسفة فكان يستند في محاولة تفسير الظواهر الاجتماعية للفكر الفلسفي ولما أصبح لهذا العلم منهج وموضوع انفصل عن الفلسفة, واستقل بطرقه الخاصة في البحث والتحليل.

ومن هذا نجاول ان نسلط الضوء على خلفية تاريخية –ولو بصورة موجزة- لكيفية تطور الفكر الاجتماعي والذي أدى إلى ظهور علم الاجتماع, وما هي نوعية هذا الفكر الاجتماعي الذي ارتبط بتطور كل من العقل البشري والمجتمعات الإنسانية في نفس الوقت خاصة وأن من أهم أهداف علم الاجتماع دراسة الحقائق والوقائع والظواهر الاجتماعية كما هي موجودة في الواقع. ومن ثم سنركز على أهم ملامح الفكر الاجتماعي خلال العصور القديمة وطبيعة اختلاف هذا الكفر عن المجتمعات القديمة الغربية, وإلى أي حد مهدت كل منها إلى ظهور وتغير الفكر الاجتماعي خلال العصور الوسطى.

1. **الفكر الاجتماعي في الحضارات القديمة :**

إن الفكر الاجتماعي قديم قدم الوجود الإنساني ذاته, ولذلك يصعب تحديد بداية معينة تقول أن الفكر الاجتماعي قد بدأ فيها, فطالما وجد الإنسان فردا أو أكثر أو جماعة أو مجتمعا فإن هذا الفكر هو لازمة هذا الوجود. وقد بدأت الكتابات المدونة عن الفكر الاجتماعي بدءا عما ساد بلدان الشرق الأدنى القديم, ومع أن حضارات الشرق الأدنى القديم ، فقد عرف الشرق القديم تطورات فكرية هامة تمثلت في ظهور عدد من الفلاسفة ورجال الدين والحكماء والمصلحين الاجتماعيين الذين حاولوا الإسهام في فهم طبيعة مجتمعاتهم.

أولا-الحضارة المصرية :ما من شك أن الحضارة الفرعونية القديمة قد تركت بصمتها على جميع الحضارات البشرية بدءا من الحضارات القديمة, سواء التي ظهرت في الشرق الأدنى القديم أو التي ظهرت في المجتمعات الغربية, علاوة على أنها تعتبر المصدر الأساسي لظهور الحضارات الأخرى التي ظهرت خلال العصور الوسطى, فالباحث المتخصص في تاريخ مصر الفرعونية يستطيع أن يلاحظ بوضوح طبيعة البناء الاجتماعي والطبقي وعلاقته بالنظم الاجتماعية الأخرى, ولاسيما النظام الديني (الكهنوتي), السياسي والاقتصادي, والأسري, والإداري وكثير من النظم الاجتماعية مثل: الضبط الاجتماعي, والمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد غيرها, حيث مكن ملاحظة الوضع الطبقي والسياسي والإداري الذي كان يتمتع به الفرعون أو الملك وما يتبعه من تسلسل مرمي لبقية الفئات الاجتماعية .

في نفس الوقت إن طبيعة الحياة الاجتماعية بصورة عامة, تفسر لنا بوضوح نوعية العلاقة الطبقية أو الطبقات الاجتماعية, وطبيعة الوضع المهني أو الحياة الاقتصادية و الدينية عموما, وهذا ما تمكن ملاحظته مع التخصص المهني لكل من الفراعنة والكهنة والصناع وقادة الجيش والحراس والفلاحين

وغيرهم من الطبقات الاجتماعية الأخرى, التي كانت تتحدد وتشكل حسب طبيعة البناء الاجتماعي الطبقي الموروث, وطبقا للنسق الديني الذي كان سائدا آنذاك.

ثانيا -الحضارة الصينية :تبلور إسهامات الفكر الاجتماعي الصيني في الأفكار والحكم الاجتماعية التي صاغها فيلسوفها ومفكرها القديم كونفوشيوس (449-551 ق.م) والذي عبر عن تصوراته على أساس أخلاقي مميز ووضع بدوره المعالم الأولى للفلسفة الاجتماعية التي عرفت باسمه, وتتضح معالم هذه الفلسفة في تحديدها مجموعة النظم الاجتماعية ونوعية العلاقات والمعاملات التي يجب أن يتبعها الناس على أساس مجموعة من القيم الأخلاقية المثالية.

وهناك من يعتبر تعاليم كونفوشيوس مجموعة من القوانين الإلهية التي تركز على تقديم نوعية من العلاقات والروابط الاجتماعية ذات الصلة القوية والتي ينبغي أن تدعم بواسطة كل من الأفراد العاديين أو الحكام وأصحاب السلطة, ومن ثم جاءت هذه التعاليم لتشكل العلاقات الاجتماعية على أساس وضعي, ولكنها تصطبغ بطابع إلهي, حيث كان يعتقد الصينيون القدماء أن هذه القوانين والعلاقات الاجتماعية والمثل الأخلاقية التي ترتبط بها والطاقة والخضوع والامتثال لها بمثابة طاعة الإله الأعظم الأوحد إله السماء.

كما جاءت أنماط الفكر الاجتماعي الصيني القديم لتحدد معالم العلاقات الاجتماعية والروابط الأخلاقية بداية من المؤسسات التربوية والاجتماعية التقليدية بدءا من الأسرة وحتى المؤسسات العامة للدولة, حيث تعتبر طاعة الابن لأبيه كنوع من طاعة الإله, وهذا ما تميزت به أيضا العلاقة المتبادلة بين الزوجين, ولقد أثرت هذه التعاليم والمثل الأخلاقية في الربط بين الأفراد والجماعات والنظم والبناءات الاجتماعية التي يعيشون فيها.كما ربطت التعاليم الأخلاقية المثالية في الفكر الصيني بين التربية والأخلاق والتعليم وهذا ما ظهر في تصورات كونفوشيوس حول تعليم النشء وكيفية وضع المقررات والمناهج الدراسية.

ثالثا -**الحضارة الهندية :**ترك الهنود القدامى فكرا اجتماعيا خصبا وإن كان يختلف في ملامحه العامة عن الفكر الاجتماعي الصيني, فقد ارتبط الفكر الاجتماعي الهندي بمجموعة من القيم الروحية الدينية التي تبلورت في ديانات أرضية مثل ديانة (مانو) وقوانينها المقدسة ثم تعاليم (بودا) التي لا تزال تشكل طبيعة الحياة والعلاقات الاجتماعية في الهند حتى الوقت الحاضر, ولقد جاءت هذه الديانات والتعاليم بمجموعة من النظريات التي تنبذ القيم المادية والفردية, ولتؤكد على أهمية القيم الروحية والجماعية, ولذا قامت نوعية الحياة الاجتماعية والعلاقات والمعاملات التي ارتبطت بها لتؤكد على أهمية وضرورة إتباع الطبقة الدينية العليا في المجتمع وهي طبق (البراهما).

ومن ثم جاءت طبقة البراهما في أعلى الهرم الطبقي في المجتمع الهندي والتي لها تخضع الطبقات الاجتماعية الأخرى, باعتبارها طبقة مقدسة, كما يجب عدم الاختلاط بهذه الطبقة أو تدنيسها سواء عن طريق الحراك الاجتماعي أو نظم الزواج التقليدية أو غيرها من الوسائل الأخرى, كما يجب بين أبناء هذه الطبقة ذات الطابع المقدس أن تحافظ على نقائها الطبقي والديني, وضرورة توريث خصائصها وصفاتها إلى أبناء طبقتها فقط دون الطبقات الأخرى وأفرادها.

رابعا - الحضارة الإغريقية :تمثل الفكر الاجتماعي اليوناني خلال القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد تحولا هاما في مسار الفكر الاجتماعي العالمي, فلقد شكل هذا الفكر تميزا مقارنة بالفكر الاجتماعي لحضارات الشرق القديم (الصيني والهندي والمصريين والبابليين.

وما يزال كتاب الجمهورية لأفلاطون وكتاب السياسية لأرسطو من المصادر الهامة لكثير من التيارات الفكرية التي شهدها العالم خلال القرون التالية. فالأفكار الفلسفية لحضارات الشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة بنظام معين, بعكس فلاسفة اليونان الذين استطاعوا فيما بعد أن ينظموا معا وفهم تنظيما منهجيا موضوعيا, فبدأ تفوقهم على فلاسفة وحكماء الشرق القديم.

فقد لخص أفلاطون معظم أفكاره الاجتماعية في كتابه المسمى "الجمهورية", حيث استهل أرائه عن ماهية العدل, واعتقد أن أحسن تعريف لحقيقة العدل يكون بتحليل المجتمع وتحليل النفس البشرية ولكنه بدلا من أن يبدأ بالفرد وينتقل إلى المجتمع, نجده يقوم بتحليل المجتمع البشري أولا وحجته في ذلك أننا نرى الفرد في المجتمع على صورة أكبر وأوضح ففي المجتمع بطبقاته وتجارته وصناعته وأنظمته العسكرية والسياسية تظهر العناصر الخفية للطبيعة الإنسانية, وتتخذ شكلا أكثر وضوحا عنها في الفرد نفسه.

أما أرسطو 322-384) :ق.م هو تلميذ لأفلاطون, وقد جاءت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية أكثر واقعية ووضعية, وأدق بطبعة من أستاذه ,بل يرى معظم آرائه الفلسفية والاجتماعية كتابه " السياسة." و من أهم الأفكار الاجتماعية الجديدة التي أوردها أرسطو قوله بأن الإنسان مدني بطبعه وأنه يستحيل على الإنسان أن يحيا ويعيش منفصلا عن المجتمع, والدولة وجدت لتنظيم حياة الناس في المجتمع وتشرف عليهم, وتطبيق التشريعات بهدف تحقيق العدالة والمساواة ويصنف الحكومات إلى نوعين: حكومة صالحة وأخرى فاسدة.

كما نجده يحلل المجتمع بداية من تحديد المجموعات الأساسية والضرورية المكونة له, فالمجتمع الأول الذي تكون طبيعيا هو العائلة وهي ترتكز على التوحيد بين المرأة والرجل من جهة والعبد والسيد من جهة أخرى, وأن من صالح العائلات ومن الطبيعي أيضا أن تجتمع في قرى والتي تتجمع بدورها لتشكل فيما بينها مدنا, فالإنسان موجه في النهاية للعيش داخل مجتمع لأنه بالطبع "حيوان اجتماعي". وهكذا نجد أرسطو قد لمس أدق مسائل علم الاجتماع وعالجها منهجيا, إلا أنه لم يدرس هذه المسائل بصورة مستقلة, ولكنه كان يدرسها على اعتبار أنها مدخل لنظرية الدولة, ولذلك يعتبر أرسطو أول من توصل إلى ضرورة قيام علم السياسة, رغم أنه بشر بموضوعات في صميم علم الاجتماع.

خامسا - الحضارة الرومانية :إذا كان الفكر الفلسفي سمة الحضارة الإغريقية, فإن التنظيم والقانون صبغ الحضارة الرومانية وميز فكرها بالطابع العلمي, فقد أتاحت لها الفتوحات الواسعة فرصة الإطلاع على عادات الشعوب الأخرى, ولو لم تقدم روما شيئا جديدا- كما يقول جاستون بوتول- على المستوى الاجتماعي إلا أنها تبقى الواضعة الحقيقية للقانون الحديث والتي عرفت كيف تستخلص منه عبر عدة قرون المبادئ الأساسية, وبذلك أمكن الانتقال من ضيف القانون القديم وشكلياته إلى وضع القانون الطبيعي.

سادسا - **الحضارة الإسلامية** : تتمثل أفكار الحضارة الإسلامية في إسهامات العديد من المفكرين الاجتماعيين أبرزهم الفرابي ابن خلدون وغيرهم، حيث تعكس أفكار أبو نصر الفرابي 950-872) م :(كأحد مفكري وفلاسفة الحضارة الإسلامية التي ظهرت خلال القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين لنوعية الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت توجد خلال هذه الفترة والتي يصعب الوصول إلى تحليلات فكرية واجتماعية حول الواقع الاجتماعي في الدولة الإسلامية, وقد امتزجت تصورات الفارابي

بالبعد الواقعي و الفلسفي الخيالي في نفس الوقت, وهذا ما ظهر في كتابه المميز عن (المدينة الفاضلة) حيث اهتم فيه بالنواحي الاجتماعية وحاجة الإنسان إلى العيش في جماعات مع الآخرين, وإلى ضرورة التعاون لسد وإشباع حاجاته من أجل العيش والحياة.

سابعا- مدرسة العقد الاجتماعي: نشأت نظرية العقد الاجتماعي في القرن السابع عشر والثامن عشر, وهي تبحث في علاقة الأفراد مجتمعهم خاصة السلطة السياسية, وقد رفض علماء هذه النظرية الأفكار الأفلاطونية والأرسطية, التي تعيد المجتمع إلى أصول إلهية أو طبيعة, ويرون بخلاف ذلك أن كل مجتمع ما هو إلا نتاج القرار الذي اتخذه الأفراد المكونين له في الانسحاب من الحالة الطبيعية والتعاون بينهم بشكل حر مشكلين بذلك اتفاقا يسمى " العقد الاجتماعي" وأهم المفكرين الأوائل اللذين أسسوا فكر العقد الاجتماعي: الاسباني "فرانسيسكو سيوراز Francisco Siavez" (1548-1647) و"ريتشارد هوكار Richard Hooker" (1554-1600) و"ألتويس Althussis" (1557-1638) وخاصة الهولندي "هيجوقريتيوس Hugo Grotwis" (1583-1645) و"سمويل فون بفوندروف Samuel Von Pufendorf " (1632-1694) وحسب هؤلاء المفكرين لا يمكن اعتبار أصل المجتمع إلهيا ولا طبيعيا وإنها تنقية عقد مزدوج بين الأفراد موجه لبناء المجتمع والحكم, بموجبه يتخلى الأفراد في الحد الأول من الاتفاق عن استقلاليتهم التي كانوا عليها في الحالة الطبيعية لصالح الجماعة التي تعود لها السلطة ويتلقون بالمقابل الحماية وضمان حقوقهم الخاصة لاسيما حق الملكية, وتحول الشعب بموجب الحد الثاني من الاتفاق السلطة لقاض أو عدة قضاة يطبقونها ضمن شروط محددة.

يضاف إلى هؤلاء المفكرين الأوائل مجموعة من المنظرين كذلك لهذه النظرية وسنحاول عرضهم بنوع من التفصيل كما يلي:

1. توماس هوبز :(1588-1679) :تكمن أهمية تحليلات هوبز بأنها جاءت في مرحلة تحول أوروبا التدريجي من هيمنة السلطة الكنيسة إلى السلطة السياسية, تنتقد بشدة, فكرة الإنسان "حيوان سياسي" بمعنى أنه مزود طبيعيا العيش داخل المجتمع ويرى عكس ذلك, فعادة ما كان يكرر الحكمة التي ارتبطت به" الإنسان ذئب لأخيه الإنسان "لأن الحالة الطبيعية للإنسان هي حالة الحرب المستمرة بين كل واحد ضد كل واحد, كما اهتم بالفلسفة السياسية وحاول أن يضع بعض الخطوط المثلي للعلاقة التي يجب تحديدها بين كل من الدولة والكنيسة, كما يسعى في نفس الوقت لأن يجعل مصدر السلطة سواء كانت سياسة أم دينية, أن تكون أيضا نابعة من الأفراد الذين سوف تنطبق عليهم هذه السلطة أو المحكومين أنفسهم.

2. جون لوك حاول "جون لوك "على منوال "توماس هوبر دراسة أصول الحكم والسلطة المدنية وغايتها انطلاقا من تحليل الحالة الطبيعية دافع "لوك "عن الحرب الإنجليزية الثانية وسماها "الثورة المجيدة "لأنها أرست أسس الملكية البرلمانية, بمعنى أنها حققت حقوق السيادة عن طريق الدستور, فقد وضعت مجموعة من الضمانات ضد الحكم الملكي بخاصة ما يتعلق بالسلع، وبخلاف هوبز يرى لوك أن الحالة الطبيعية سلم وحرية ومساواة, فهي مسيرة عن طريق الحقوق الطبيعية الفطرية والعقلية, والإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي لأن كل فرد يحمل في داخله القانون الطبيعي الذي يتطابق مع طبيعته الإنسانية.

3. جون جاك روسو :(1712-1778) :يرى روسو أنه قبل ظهور الدولة والقانون كان الناس يعيشون "عصرا ذهبيا "من عصور التاريخ, تسود فيه المساواة التامة إلى أن ظهرت

الملكية الخاصة وتفشي التفاوت بين الناس, وكان لزاما على سكان المجتمع المدني التعاقد على قيام الدولة والحق.وقد خلص روسو من فكرته هذه إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها: إذا كان الحكماء والمشرعون لا يكيفون قراراتهم مع رأي الشعب, فإن للشعب الحق في فك العقد المذكور, وهنا تمكن محدودة تلك النظرة ومحاولة تفسير أصل الدولة والحق بردة إلى رغبات الناس الذاتية بعيدا عن العلاقات المادية القائمة بينهم.

في الواقع إن دراسة أنماط التفكير الاجتماعي –ولو بصورة موجزة- التي سبقت مرحلة ظهور علم الاجتماع من شأنها أن تقدم لنا تصور مسبق عن ماهية هذا العلم, وكيف نشأ وتطور خلال مسيرة قرون ضمن حضارات الشرق القديم إلى غاية أواخر القرن الثامن عشر, فقد كشفت طبيعة البناءات والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ظهرت في المجتمعات البشرية عن مدى اختلاف هذه البناءات والنظم المصاحبة, كما كانت عليه خلال العصور الوسطى سواء كانت مسيحية أم إسلامية وخلال عصور الإصلاح والتنوير.

المحاضرة الثانية: تعريف علم الاجتماع:

تمهيد: تعتبر مسألة تعريف علم الاجتماع ومجالات دراسته نقطة انطلاق وبداية منطقية لكثير من الكتابات التي ظهرت في علم الاجتماع وكان الهدف منها توجيه الباحثين إلى هذا العلم وتقديم صورة واضحة عن موضوعه, والمسائل التي تشغل اهتمام المشتغلين به وهذا هو نفس الأسلوب الذي سنحاول إتباعه في هذا العنصر بهدف توضيح الرؤية أمام الدارس والمهتم بهذا العلم.

1. **التسمية :**قبل أن يصبح علم الاجتماع أو السوسيولوجيا بهذا الاسم سبقته عدة محاولات التي قدمها الباحثون لكي يعبروا عن العلم الذي يفي بدراسة المجتمع, لذلك أخذت مراحل واضحة نميزها فيما يلي:

أولا: فمشروع إنشاء علم جديد يتكفل بالظواهر الاجتماعية وجد قبل إيجاد الكلمة ذاتها, إن يرى البعض أن " ابن خلدون" هو أول من اقترح أنتاج معرفة حول المجتمع أسماها "علم العمران البشري", وبالمقابل يعتقد البعض بأن كل من "مونتيسكو " Montesquieuو "روسو " Rousseauيشكلان الرائدان الأساسيان لعلم الاجتماع (في القرن (18، بما اقترحاه من قوانين تحكم المجتمع, ويحلو للبعض العودة إلى أبعد من ذلك والرجوع إلى "هوبز " T. Hobbesالذي استوحى تصوره من تونيز (1936-1855) و"فيكو " Vicoو"مونتانيا "Montaigneومن سبقهم لاكتشاف الاهتمامات السياسية للفلاسفة الكبار في العصر القديم مثل أفلاطون وأرسطو.

ثانيا :نُحَتَت الكلمة –علم الاجتماع- من قبل "أوجست كونت "Auguste conteسنة 1830فهو يتكون لديه من لوغوس logos logieبمعنى الخطاب أو العقل وكلمة Socio sosuisالتي تدل على المرافق وبإرجاع الكلمتين نحصل على العلم الذي يهتم بالعلاقة الموجودة بين فردين فأكثر, لكن إلصاق الكلمتين "العلم" و"الاجتماعي" بمختلف إضافاتها وتعريفاتها) العلم الاجتماعي, العلم الاجتماع, علم الاجتماع, علم اجتماع (طرح إشكالات متعددت, انتهت بشبه اتفاق على المصطلح "علم الاجتماع "وإن كان هذا المصطلح هو الآخر قد يحمل بين طياته تحديات خاطئة, وتبقى الكلمة الأجنبية منقولة إلى العربية "السوسيولوجية" أكثر الكلمات دلالة

على مضمون هذا العلم, وبذلك يكون عنده مفهوم علم الاجتماع هو علم يطمح إلى دراسة "القوانين الأساسية الخاصة بالظواهر الاجتماعية" وقد اقترح الكلمة تعويضا لمصطلح "الفيزياء الاجتماعية" التي كانت تعني مشروعا مماثل عند الإحصائي البلجيكي كتلي "Quételetوتحمل عنوان كتابه الأساسي.

وقد كتب "كونت "A.comteسنة 1820يقول: " نحن الآن نملك فيزياء فلكية, وفيزياء أرضية وفيزياء أخرى وأخيرة تتعلق بالمجال الاجتماعي ليكتمل نظام معرفتنا بالطبيعة وأقصد الفيزياء الاجتماعية إنها العلم الذي يدرس الظاهرة الاجتماعية بطريقة موضعية وبنفس الروح التي ينظر بها لظواهر الفلك أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفيزيولوجيا أي أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابثة ."

ثالثا: لا يمكن لنشاط علمي معين أن يصبح مؤسساتيا إلا إذا تم تدريسه في الجامعة, ففي فرنسا أنشئ كرسي " (chaire)للبيداغوجيا والعلوم الاجتماعية" عام 1895بجامعة بوردو Bordeauxمن قبل السوسيولوجي الفرنسي "إميل دوركايم "Emile Durkheimوكان ذلك تزامنا مع صدور كتابه (قواعد المنهج في علم الاجتماع) في نفس السنة .وبعد انتقاله إلى السربون Sorbonneعام 1906حصل على كرسي يحمل اسم "علم التربية وعلم الاجتماع" عام 1913،

لكنه عدل هذه التسمية وأستهجنها بعد أن استخدمها البلجيكي " أدولف كيتيله Adolphe Quételet "(1796-1874) في دراساته الإحصائية للمجال الاجتماعي ووضعها عنوانا لكتابه : " الفيزياء الاجتماعية physique Sociale " واقتراح كونت تسمية جديدة لمشروعه العلمي الجديد, كي يكون مختلفا شكلا ومضمونا عن مقترح كتليه بذلك ظهرت هذه الكلمة ذات الذوق المحبب عند الكثيرين "علم الاجتماع Sociologie".

2. **ماهية علم الاجتماع** :ليس ثمة شك في أن غير المتخصصين في علم الاجتماع وكذلك الذين يبدون اهتماما بالقضايا الاجتماعية لديهم فكرة قد تتباين في درجة وضوحها أو غموضها عن هذا العلم, لكن قد يكون من الصعوبة عليهم بمكان أن يقدموا إجابة كافية عن التساؤل المطروح ما علم الاجتماع, وليس من شك في أن هذا الدعوى تنطبق, ربما بصورة أكثر وضوحا على المبتدئين في دراسة هذا العلم.

عرف معجم المصطلحات الاجتماعية, علم الاجتماع بانه الاجتماعية الأخرى, علما "من العلوم الإنسانية المتخصصة في دراسة الظواهر الاجتماعية موضوعيا وتحليلها علميا بتقنيات خاصة, وتفسيرها عقلانيا, استنادا إلى النظر في المجتمعات الإنسانية التاريخية وقوانين تركيبها وتطورها وأدائها , ثباتها وتغيرها".

3. **إشكالية التعريف** :من المسائل التي وضعت على بساط البحث منذ زمن طويل بين علماء الاجتماع مسألة تعريف هذا العلم خاصة وأن معظم هؤلاء العلماء يتفقون بينهم في نقطة واحدة هي عدم اتفاقهم على تحديد تعريف شامل لعلم الاجتماع, وهو ما يؤكده "رريمون آرون" أحد

المشتغلين بعلم الاجتماع بفرنسا, أن: "علم الاجتماع يتميز بأنه دائم البحث عن نفسه, وإن أكثر النقاط اتفاقا بين المشتغلين به هي صعوبة تعددية"

وعلى الرغم من وجود تباين في تعريف هذا العلم, فإن ثمة نقاط رئيسية, تمثل ولو هيكلا عاما يتحرك من خلال هذا العلم, ويتحدد به موضوعه الأساسي, وهو هيكل يشير إلى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية, بهدف الكشف عن القوانين أو القواعد أو الاحتمالات التي تخضع لها هذه الظواهر في ترددها أو اتجاهها أو اختفائها, أو علم دراسة الإنسان والمجتمع دراسة علمية, تعتمد على المنهج العلمي, وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث.

وجلي أن هذه الأبعاد الأساسية في التعريفات السابقة تعد حصاد تطورات علم الاجتماع منذ أن أشار إليه ابن خلدون الذي حدده بأنه: "علم العمران البشري, وما يحويه هذا العمران من مختلف جوانب الحياة الاجتماعية المادية والعقلية"مرورا بأوجست كونت الذي يعتبر أول من أعطى علم الاجتماع طابع العلم الوضعي (منهجية محددة) وأطلق العلم الجديد اسم "الفيزياء الاجتماعية" ليؤكد أن الحياة الاجتماعية محكومة بقوانين مثل الحياة الطبيعية, وقسم العلم الجديد إلى فرعين: فرع تشريح المكونات, وفرع شرح الوظائف وقدم تعريف لعلم الاجتماع بأنه: الدراسة الوضعية لمجموع القوانين الأساسية الخاصة بالظواهر الاجتماعية".

المحاضرة الثالثة: موضوع علم الاجتماع:

تمهيد: يعكس تحليل التراث والأدبيات لعم الإجتماع عن تعدد نوعية الموضوعات التي يهتم بها هذا العلم منذ نشأته الأولى نظرا لتنوع هذه الموضوعات حسب إهتمامات الباحثين و العلماء. فيكاد يجمع علماء الإجتماع على أن علم الاجتماع هو دراسة المجتمع في ظواهره ونظمه وبنيته والعلاقات بين أفراده دراسة علمية وصفية تحليلية، ولكن ميدانا واسعا كهذه السعة قد يصبح من العمومية التي تقضي على شخصية العلم وتسيئ إليه ، وغنى عن البيان أن علم الإجتماع لايمكنه أن يشق طريقه نحو الإرتقاء إذا أقحم نفسه في مجالات متعددة تتصل بجميع نواحي الحياة وشؤون المجتمع.

وقد حاول علماء الإجتماع تحديد موضوع هذا العلم –علم الإجتماع- فإنقسموا في هذا الخصوص إلى ثلاثة فرق:

الفريق الأول: ويذهب أصحاب هذا الفريق إلى أن موضوع علم الإجتماع هو دراسة العلاقات الإجتماعية، ويعرف أصحاب هذا الفريق بأصحاب "مدرسة العلاقات" ويتزعم هذه المدرسة المفكر الألماني " جورج زيميل" و "ماكس فيبر "وألفريد فيركانت A. vierkant".

ويبني هذا الفريق رأيه بصفة عامة على أساس الفصل بين شكل العلاقات الإجتماعية ومضمونها، فإذا درست من حيث شكلها (أي طبيعتها الصورية) كانت موضوع علم الإجتماع، أما إذا درست من حيث مضمونها كانت موضوعا لعلم آخر، لأن العلاقات التي تنشأ بين أفراد كالتنافس والخصوع، وتقييم العمل والصراع موجودة في مختلف ميادين الحياة الإجتماعية، فهناك تنافس وصراع في الشؤون الإقتصادية والسياسية وبين المعتقدات الدينية، وهناك خضوع في الأسرة وفي بيوت العبادة وفي دور القضاء، ووظيفة علم الإجتماع هو تحليل المظاهر المختلفة للعلاقات الإجتماعية حتى تتعرف على خصائصها ومقوماتها تم محاولة تفسيرها في صورتها المجردة بعيدا عن مضمونها الإجتماعي.

لذلك نجد " زيمل" هو أحد رموز هذه المدرسة يعبر عن موضوع علم الإجتماع؛ بعلم إجتماع التفاعلات أو مايعرف بالألمانية القائم على شبكة العلاقات الإجتماعية والحياة داخل المجتمع، وتنقسم التفاعلات إلى عابرة فورية يلعب فيها الجانب الجسدي عنصرا ظروريا في تشكيل السلوكات، كما يمكنها

أن تكون دائمة ، وهي أساس العلاقات التبادلية بين الأفراد نتظيم معين (الصداقة، الغيرة، التكتل، التحالف، الصراع، المنافسة على السلطة، اللياقة ، أو أي شيئ للإعتلاء على الآخرين) وتتجسد بالخصوص عن طريق التأكيد عن فاعلياتها أو قواعدها أو تخطيطها الرسمي.

كما دعى "زيمل" أيضا إلى سوسيولوجية الأشكال الإجتماعية ولا يهتم "زيمل" بالمجتمع والفرد في حد ذاته إنما بالمستوى الإنتقالي الناتج عن التفاعل بينهما وهو مايسميه " الأشكال الإجتماعي" التي تعتبر نتيجة الأنشطة والأفعال المتبادلة بين الأفراد والأمثلة التي يختارها لذلك جد متعددة كالفن، الدين، الموضة، فهو يمس مجالا للدراسة عادة مايتردد للمتخصصين في علم النفس، يتمحور حول العلاقات الحميمية (الحب، المعاناة، السر، الكذب).

في حين يحدد ماكس فيبر موضوع علم الإجتماع في دراسة الأفعال الفردية ضمن نسق اجتماعي معين بالتركيز على علاقات التأثير والتأثر ودراسة مختلف أنماط التفاعل الاجتماعي في علاقته مع بنية المجتمع.

ففيبر يركز على دراسة الفرد الفردي المجتمعي ضمن سياقه التأويلي، بمعنى دراسة الفعل الاجتماعي الهادف، ومن تم لايكون الفعل فعلا اجتماعيا الا اذا كان يحمل في ذاته معنى أو هدف ما وكان له تأثير في سلوك الآخر الذي يعيش في المجتمع نفسه، أي هناك علاقة تأثر وتأثير في إطار التفاعل الإجتماعي وتعبير آخر يؤثر الفرد في مجتمعه بأفعاله وسلوكياته وأعماله وفي الوقت نفسه يتأثر بذلك المجتمع على الصعيد القانوني والمؤسساتي.

الفريق التاني: ويذهب هذا الفريق إلى ضرورة قيام علوم إجتماعية جزئية بجانب علم الإجتماع يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحي الحياة الإجتماعية على أن تقتصر، وظيفة علم الإجتماع العام على وضع المبادئ العامة وتصوير السمات العامة للحياة الإجتماعية، وتنسيق النتائج ووضع مناهج البحث، ويشبه هذا الفريق- علم الإجتماع- بشجرة كبيرة جذورها في أرض المجتمع وساقها هو" علم الإجتماع العام"وفروعها وأغصانها هي العلوم الإجتماعية الفرعية، وثمارها هي القوانين الإجتماعية، وعلى ذالك فإن علم الإجتماع يحقق وظيفتين رئيسيتين:

- دراسة كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، والتعمق في بحث ظواهره للوصول إلى القوانين التي تحكمها عن طريق العلوم الإجتماعية الفرعية.
- دراسة المقومات الأساسية للحياة الإجتماعية، والسمات العامة للعلاقات الإجتماعية والقوانين المنظمة لها، والقوى المؤثرة في تقدم المجتمع وتطوره.

أما ايميل دوركايم فقد سعى لإعطاء علم الاجتماع موضوع خاص والذي بحسبه يجب أن تميزه عن التخصصات الأخرى الموجودة مثل: علم النفس، التاريخ، الاقتصاد. فبالنسبة لايميل دوركايم فا تفرد علم الاجتماع يمكن في دراسة الواقعة الاجتماعية التي لا يمكن ردها بسبب ميزاتها الخاصة الى حقيقة سيكولوجية والتي تستوجب بحثا نوعيا.

الفريق التالث: أنصار وعلماء هذا الفريق لايمثلون إتجاهات محددة، ولكن آراءهم تعبر عن وجهة نظرهم الخاصة، فمنهم من يذهب إلى أن موضوعه هو دراسة النظم الإجتماعية، ومنهم من يرى أن العلم يجب أ، يدرس التغير الإجتماعي، ومنهم من يذهب أن موضوع علم الإجتماع هو دراسة المقومات التي تدفع بالمجتمع إلى التطور وتؤدي إلى الوحدة والتأليف بين أفراده.

فموضوع علم الإجتماع حسب تصور علماء الإجتماع المؤسين الأوائل فبدءا بإبن خلدون فقد حدد مهمة علم العمران البشري وجعل موضوع هذا العلم دراسة المجتمع الإنساني ككل، إلا أنه صنف مجموعة فرعية من موضوعات هذا العلم وهي:

- العمران البشري بصورة عامة، ويشمل دراسة التجمعات البشرية.
- العمران البدوي، ويشمل دراسة القبائل والأمم الوحشية.
- الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية.
- العمران الحضري والبلدان والأحصار .
- البضائع والمعاش والكسب وأنواعه.
-دراسة التغير الإجتماعي.

أما بالنسبة لـ "أوجت كونت" (1798-1857) والذي أعطى إسم أو تسمية لعلم الإجتماع، فقد كرس المزيد من هذه للتعبير عن آمال هذا العلم ولتأكيد دعواة فإهتم بذلك أكثر من إهتمامه بتحديد موضوع العلم، الذي كان يرى أن علم الإجتماع ينقسم إلى قسمين رئيسيين همـــــــا "الإستاتيك الإجتماعية social static" و"الديناميكية الإجتماعية social dynamics" وكان يعالج موضوع علم الإجتماع على هذا الأساس، ويمثل هذان المفهومان تقسيما أساسيا لموضوع علم الإجتماع مازال يبدو في صور ومظاهر عديدة متباينة على إمتداد تاريخ هذا العلم وحتى يومنا هذا وتمثل الوحدات الرئيسية للتحليل السوسيولوجي النظم الأساسية أو الوحدات التنظيمية المركبة للمجتمع، كالإقتصاد أو الأسرة أو السياسة، ويفهم علم الإجتماع في هذه الحالة على أنه دراسة العلاقات المتبادلة بين هذه النظم، ويقول "كونت" في هذا الصدد: "يتمثل الجانب الأستاتيكي لعلم الإجتماع في دراسة قوانين الفعل ورد الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الإجتماعي.

وأطلق "كونت" على القسم التاني لعلم الإجتماع إسم الديناميكا الإجتماعية، فإذا كانت الأستاتيكا هي دراسة كيفية تداخل أجزاء المجتمع وتفاعلها مع بعضها البعض فإن الديناميكا يجب أن ترتكز على المجتمعات كاملة، وتتخدها وحدة التحليل السوسيولوجي، والهدف من ذلك أن أ، توضح كيف تطورت هذه المجتمعات وتغيرت عبر الزمن، فقوانين الديناميكا الإجتماعية تبدوا أكثر وضوحا عندما تنظر إليها في ضوء مجتمعات كبيرة، كما أن الدراسة المقارنةللمجتمعات يوصفها كيانات كلية تمثل موضوعا رئيسيا من موضوعات التخلل السوسيولوجس عند "كونت".

أما بالنسبة لـ "هربرت سبنسر" (1820- 1903) فيمثل مؤلفه "أسس علم الإجتماع" الواقع في ثلاث مجلدات والمنشورات عام 1877 أول دراسة شاملة كرسها صاحبها لإستعراض موضوعات التخليل السوسيولوجي، وقد كان "سبنسر" أكثر دقة كثيرا من "كونت" في تحديد موضوعات علم الإجتماع، وهذا ماكتبه في المجلد الأول من كتابه أسس علم الإجتماع: " يتعين على علم الإجتماع أن يصف كيفية تطور الأجيال المتشابهة من الوحدات المدروسة، ونموها وإعدادها للتعاون، ولذلك يأتي موضوع تطور الأسرة في المقام الأول، ثم يتعين على علم الإجتماع بعد ذلك أن يصف ويفسر نشأة وتطور التنظيم السياسي، الذي ينظم شؤون المجتمع، والتي تفرض عليهم ظوابط معينة في بعض معاملاتهم في بعضهم البعض، كما يتعين عليه بالمثل أن يصف تطور الأبنية الكنسية ووظائفها ونسق الظوابط الذي ينظم الأفعال الصغيرة، كما يجب أن المراحل التي مر بها القطاع الصناعي في المجتمع، وكذلك نمو الأبنية التنظيمية التي إستطاع ذلك القطاع الصناعي أن يطورها في داخلة.

وعموما يمكن الإشارة إلى الأفكار الرئيسية التي تدور حولها الموضوعات السابقة لعلم الإجتماع سواءا أكانوا من رواد العلم التقليديين أو المعاصرين فيمايلي:

- الجماعات الإجتماعية: وهي الأنماط والأفعال الإجتماعية وأهدافها وتشمل هذه العمليات نمادج مختلفة من التعاون، التناسق، الصراع، التكيف وغيرها.

- الثقافة : وهي مجموعة العناصر المادية والامادية والنتائج العام للفكر والحضارة الإنسانية وتشمل أنماط التفكير والعلوم والفنون والآداب والتكنولوجبة.
- الشخصية: وتشمل دراسة موضوع التفاعل ودراسة السلوك الفردي والجماعي ونمادج العلاقات المتداخلة بين الأفراد وكيفية تكوينها وتغييرها وتكييفها في المجتمع.
- التغير: ويعتبر هذا الموضوع هو جوهر إهتمام علماء الإجتماع لأن التغير هو القانون الذي يفسر حياة المجتمعات وتطورها وتشمل دراسة التغير جميع جوانب الحياة الإجتماعية وبناءاتها ونظمها ومؤسساتها المختلفة

المحاضرة الرابعة: رواد علم الاجتماع

تمهيد:

سنحاول في هذه المحاضرة أن نستعرض أهم قضايا وأفكار الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع، بدءا بابن خلدون الذي يختلف إسهامه عن بقية المؤسسين انه لم يتحيز أو يدافع عن مصالح طبقة أو فئة معينة، لننتقل إلى أوجست كونت وكارل ماركس وماكس فيبر وصولا إلى ايميل دوركايم، أين حاول كل واحد من هؤلاء تقديم نموذج أو أكثر للمجتمع والإنسان.

1- ابن خلدون:

هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، ويعود نسبه إلى حضرموت من عرب اليمن إلى وائل إبن حجر الصحابي الذي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فبسط له رداءه وأجلسه عليه ودعى له، ذكر إبن خلدون نسبة على هذا النسق، وقال: لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة. ولد إبن خلدون في تونس في غرة رمضان (732ه-808) الموافق (1406-1332م) فهو أندلوسي الأصل أمازيغي النشأة.

تخرج من جامع الزيتونة وقد كان مثقفا موسوعيا ملما بكل المعارف والعلوم والفنون والآداب المعروفة في عصرهّ، برع كثيرا في علم التاريخ وفلسفته، بل يعد في الحقيقة مؤسس علم الاجتماع – العمران البشري- قبل أن ينسب إلى "سان سيمون" أو "أوجست كونت" وقد كان ابن خلدون قريبا من الملوك والحكام والسلاطين في الأندلس والمغرب والجزائر وتونس ومصر، وقد عانى الكثير من جراء أحابيل السلطة ومكانتهما، وقد مارس القضاء في مصر إبان عهد المماليك، وعايش فترة المغول وأستوعب تاريخ العصور الوسطى بشكل جيد مما ساعده ذلك على صياغة نظرية العمران البشري واستجلاء نظرا له أطوار الدولة.

وقد ألف ابن خلدون مجموعة من الكتب والمصنفات أهمها كتاب مقدمة ابن خلدون وكتاب تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبرر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،وكتاب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا.

فقد أدرك ابن خلدون منذ بدء مقدمته أنه يقوم بمحاولة غير مسبوق إليها وهي تأسيس علم الاجتماع أو ما أسماه بعلم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني وفي هذا نقول: "وكأن هذا العلم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان مايلحقه من عوارض

وأحوال لذاته، واحدة بعد أخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا" ويقرر ابن خلدون في زهو رائع أنه أول من يدرس ظواهر الاجتماع على هذا النحو الجديد فيقول : "وأعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص" وينتهي ابن خلدون من استعراض ماعسى أن يكون له علاقة بعلمه الجديد فلا يجد له شبيه فيقول:" نحن ألهمنا الله لإلى ذلك إلهاما وأعثر على علمنا على علم جعلنا بين نكرة وجهينة خبرة، فإن كنت قد استوفيت مسألة وميزته عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيقا من الله وهداية وإن فات شيء في إحصائه واشتبهت بغيرة من مسائله للناظر المحقق إصلاحه، ولي بعض الفضل لأني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق، ولله يهدي بنوره من يشاء".

وقد اعتمد ابن خلدون في دراسته للمجتمعات العربية البربرية على:

- ملاحظة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات التي زارها وعاش بين أهلها.
- تعقب الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها، ولكن في العصور السابقة لعصره.
- تعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها.
- المقارنة بين هذه الظواهر جميعا والتأمل في مختلف شؤونها، للوقوف على خصائصها، وما تؤديه من وظائف في حيات الأفراد والمجتمعات، وعلل اختلافها وقوانين تطورها.
- استخلاص القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر.

وهكذا يتضح أن ابن خلدون قد أقام منهجه العلمي على الملاحظة والمقارنة والتأصيل التاريخي تم عمليات عقلية يجرها على الماء، العلمية المتوصل إليها فيحللها ويفسرها ويصل بصددها إلى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

ومن الظواهر المميزة التي اهتم ابن خلدون بمعالجتها المراحل التطورية للدول والحضارات الإنسانية فيما يعرف بنظرية الدورة التاريخية لابن خلدون، وتحليله لنشأة السلطة وتطورها فلا يمكن تأسيس الدولة إلا بالقوة والإتحاد والعصبية القبلية ومراعاة النسب والتشبث بالعقيدة، كما قدم ابن خلدون جغرافيا اجتماعية ، وقد ربط العمران بالمناطق المعتدلة والمناخ المعتدل، وهذا يعني أن التجمع البشري مرتبط بالأراضي الخصبة والمياه الجارية واعتدال المناخ.

كما يركز ابن خلدون على الصراع بين الأفراد في تفسيره لعملية التغير الاجتماعي معللا بذلك مجموعة من الأمور وهي:

- الإنسان مدني بطبعه تنجم هذه الحالة عن حاجة مزدوجة للكائن البشري: الغداء والدافعية.
- أن الله هو الذي كون الإنسان على هذا النحو النمو- الحاجة- الاجتماع.
- يحمل البشر بقايا من تكوينهم الحيواني السابق هي: العدوانية.
- إذا فلا بد لهم من وازع يحميهم من أنفسهم وله سلطة القهر.
- لكن مسألة من سيكون الحاكم ومن سيكون المحكوم يستلزم ظهور العصبية إبتداءا من صلة الرحم وانتهاء بالرابطة المعنوية.
- ومن واقع حيمية عصبية قوية على بقية العصبيات الأخرى ضمن مجموعات جغرافية وإثنية ولغوية وثقافية محددة ظهر الملك.

- وبما أن القوة عنصر لازم وغي كافي للملك فكان لابد من رابط إيديولوجي أعم من الروابط العصبية فكانت السياسة وكان الدين.
- تنطلق هذه العملية من البادية القاسية الفقيرة باتجاه المدينة حيث الرفاه والغناء.
- هذا يعني أن غاية البدوي المدينة، وغاية العصبية الملك.
- هذه الحضارة تحفر قبرها بيدها بواسطة معولي الترف والظلم.
- وهكذا تؤول الحضارة والدولة إلى الموت المحقق على يد عصبية جديدة ما تزال تحتفظ بعناصر شبابها.
- تكرر هذه العملية كل حوالي مائة عام.

كما اهتم ابن خلدون بمعالجة الظواهر العصبية وتحليله لأهم القضايا والمشكلات المرتبطة بها إضافة إلى الكثير من مسائل التربية والتعليم، لذلك نجد ابن خلدون في مقدمته يقسم علم العمران البشري إلى ستة أبواب وهي:

- الباب الأول في العمران البشري.
- الباب الثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية
- الباب الثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.
- الباب الرابع في العمران الحضري والبلدان والأمصار.
- الباب الخامس في الصنائع والمعاش والكسب.
- الباب السادس في العلوم واكتسابها وتعلمها.

ومن هنا تعتبر مقدمة ابن خلدون بحق عملا موسوعيا قدم لنا فيه بصورة بانورامية كاملة للحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الغربي الإسلامي الوسيط، وهذا ماجعل العديد من العلماء يعترفون صراحة بقيمة كتابات ابن خلدون وتأثيرها على تحليل قضايا سوسيولوجية مهمة لاتزال تشكل اهتمام العديد من علماء الاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد والأنتربولوجيا وغيرها إلى المدى الذي أصبح هناك اعتراض عالمي الآن بدور ابن خلدون في الدعوة إلى إنشاء علم الاجتماع، حيث يقرر عالم الاجتماع الأمريكي "فارد" في كتابه علم الإجتماع النظري: "كانو يظنون أن أول من قال وبشر بمبدأ الحتمية في الحياة الاجتماعية هو منتيسكيو أو فيكو مع أن ابن خلدون قال بذلك وأثبت خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدة طويلة فقد قال بذلك في القرن الرابع عشر.

2- أوجست كونت Auguste comte (1798-1857): فيلسوف فرنسي ولد بمدينة مونمبيليه بعد أن تم دراسته الجامعية شغل وظيفة عميد مدرسة الهندسة، تم عين بعد ذلك سكرتيرا لسان سيمون عاونه في إخراج أبحاثه ومؤلفاته إلى حيز الوجود، ويعد من أوائل المؤسسي لعلم الاجتماع الحديث.

يعلن كونت عن نشأة علم الاجتماع بوصفة علما مستقلا بذاته بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية أي دراسة وضعية شأنه في ذلك شأن العلوم الطبيعية والكيمياء والبيولوجيا التي تدرس ظواهرها في ضوء مناهج البحث العلمية فكتب يقول: "لدينا الآخر وأخيرا من الفيزياء، وهو الفيزياء الاجتماعية، ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعا للدراسة باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية والطبيعية والكيميائية والفيسيولوجية نفسها من حيث كونها موضوعا للقوانين الثابتة.

أكد كونت أن علم الاجتماع آخر العلوم يدخل مرحلة اليقين وتمثل الركيزة الأساسية للنظام الوضعي، فبمجرد أن تصبح دراسة المجتمع بما في ذلك السياسة وضعية، فستتمتع النظرية الاجتماعية بسلطة النظريات الأخرى في العلوم الطبيعية، ويمكن استخدام مبادئها العقلانية في إعادة عالم مابعد الثورة، وينقسم علم الاجتماع إلى جزأين هما: الثوابت الاجتماعية والديناميات الاجتماعية اللذان غرسا على التوالي مشاعر التضامن مع أفراد المجتمع الآخرين وإحساس تواصل الأجيال الماضية مع الأجيال المستقبلية، وبالتركيز على تنظيم المجتمع تعرضت الثوابت الاجتماعية لدراسة أساس النظام الاجتماعي، واستقصت القيم الأخلاقية والأسرية وبمعالجة تطور المجتمع وتقدمه، تمثل الديناميات الاجتماعية الدراسة العلمية للتاريخ.

ومن جهة أخرى، يعد كونت من رواد الوضعية Positivism الذين أسسوا علم الاجتماع على أسس علمية تجريبية، اعتمادا على الملاحظة، والتجربة، والمقارنة، والتاريخ، ويعرف كذلك بوضع قانون المراحل الثلاث الذي يتمثل فيما يلي :

- **قانون المرحلة الدينية أو اللاهوتية** :كان الإنسان، في هذه المرحلة، يفكر بطريقة خيالية، وإحيائية، وأسطورية، وخرافية، وسحرية، وغيبية، ودينية؛ وكان يفسر ظواهر الطبيعة وفق قوى خفية مصدرها الأرواح والشياطين، والعفاريت، والآلهة ولم يكن هناك أدنى اعتراف بالحتمية التجريبية أو العلمية، فالقانون الوحيد هو الصدفة فقط.
- **المرحلة الميتافيزيقية:** انتقل الإنسان، في هذه المرحلة، من الميتوس والخيال إلى اللوغوس والفكر المجرد وبدأ يهتدي بالتأمل الفلسفي، واستخدام العقل والمنطق،والاستدلال البرهان ، والحجاج الجدلي، وتواكب هذه المرحلة الفكر الفلسفي الميتافيزيقي من مرحلة الفلسفة اليونانية حتى القرن التاسع عشر؛ قرن التجريب والاختبار والوضعية، وكان الفلاسفة يرجعون الطبيعة إلى أصول ومبادئ كامنة في تلك الظواهر كتفسير ظاهرة النمو في النبات إلى قوة النماء، وظاهرة الاحتراق بإله النار.
- **المرحلة الوضعية:** في هذه المرحلة، تجاوز العقل الإنسان مرحلة الخيال والتجريد، وبلغ درجة كبيرة من الوعي العلمي، والنضج التجريبي. إذ أصبح التجريب أو التفسير منهج البحث العلمي الحقيقي، ثم الارتكان إلى المعرفة الحسية العيانية، وتكرار الاختبارات التجريبية، وربط المتغيرات المستقلة بالمتغيرات التابعة ربطا سببيا في ضوء مبدأ الحتمية أو الجبرية العلمية وتعد هذه المرحلة أفضل مرحلة عند أوجست كونت، وهي نهاية تاريخ البشرية.

وتوافق كل مرحلة من هذه المراحل تطور الإنسان من الطفولة حتى الرجولة؛ إذ تتوافق المرحلة اللاهوتية مع مرحلة النشأة والطفولة؛ وتتماثل مرحلة الميتافيزيقا مع مرحلة الشباب والمراهقة؛ وتتطابق مرحلة الوضعية مع مرحلة النضج والرجولة والاكتمال.

وتبقى هذه الصيرورة التاريخية صيرورة نسبية وإيديولوجية؛ لأن جميع المراحل والمجتمعات الإنسانية قد أخذت بهذه الأنماط التفكيرية الثلاثة حتى لدى الشعوب

القديمة، وإذا أخذنا الفكر العربي في العصر الوسيط، فنجد اهتماما كبيرا بالفكر الوضعي التجريبي، وفي الوقت نفسه، كان الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي سائدين ومتجاورين في المجتمع جنبا إلى جنب، ثم، لايمكن للفكر أن يتوقف في لحظة معينة كتوقف التاريخ عند فوكوياما، أو توقف المجتمع البشري عند كارل ماركس بوصوله إلى المرحلة الشيوعية، ومن جهة أخرى، فقد ساهمت الوضعية العقلانية في ظهور فلسفات غير وضعية وغير عقلانية، مثل: السريالية، والفرويدية، والوجودية، والتأويلية، والذاتية.

علاوة على ذلك، فقد صنف كونت العلوم إلى ست مجموعات: أولها الرياضيات، ثم الفلك، والفيزياء والكيمياء، وعلم الحياة، وعلم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية، وبالتالي فالرياضيات مفتاح العلوم جميعا، أما علم الاجتماع فهو آخرها وتاجها جميعا، و"تلك حقيقة، إذ إن الرياضيات هي أول العلوم فقد توصل إليها اليونانيون، ثم تلاها علم الفلك الذي ظهر على يد كوبنرت وكبلر وغاليلو، ثم الفيزياء التي ظهرت في القرن السابع عشر على يد لافوازييه (Lavoisier) ثم علم الأحياء في القرن التاسع عشر عند بيشات (Bichat)وغيره، وأخيرا علم الاجتماع في القرن التاسع عشر على يدي أوغست كونت.

وخلاصة القول فلقد اهتمت الوضعية، عند أوجست كونت، بدراسة الظواهر النسبية غير المطلقة بالتوقف عند العلاقات الثابتة بين الوقائع والظواهر، في إطار ترابطها السببي، بغية استخلاص قوانينها وقواعدها النظرية والتطبيقية. ومن ثم، يمكن القول بأن أوجست كونت يعد من أهم مؤسسي علم الاجتماع الوضعي ومن السباقين إلى الأخذ بمنهج التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، بتمثل منهجية الفيزياء والبيولوجيا والفيزيولوجيا والكيمياء في التعاطي مع الظواهر المادية، مع الاعتماد على مجموعة من الخطوات العلمية، مثل: الملاحظة، والتجربة والمقارنة، والتاريخ.

3- كارل ماركس:

ولد كارل ماركس يوم 5 مايو-أيار 1818 في مدينة تريفز Trèves التابعة يومئذ لمملكة بروسيا ، وهو الابن الثاني في أسرة ميسورة الحال تنتمي إلى الطبقة الوسطى، وتتكون من تسعة أبناء ينحدر أبوه "هيرشل ماركس" من عائلة يهودية ضمَّت العديد من الحاخامات وتجار مزارع الكروم، اضطر الأب إلى اعتناق البروتستانتية سنة 1816 من أجل التمكن من ممارسة مهنة المحاماة بعد صدور قوانين تمنع ولوج اليهود إلى الوظائف العمومية في ألمانيا، وحوَّل اسمه من "هيرشل" إلى "هانريش"، أما الأم فهي "هنرييت برسبورغ" تنحدر من عائلة يهودية هولندية، وقد بقيت على يهوديتها حتى وفاة والدها الحاخام، ثم اعتنقت المذهب اللوثري عام 1825.

تلقى ماركس تعليمه الثانوي بمدينة تريفز، وانتقل إلى بون عام 1835 لدراسة القانون، ثم إلى برلين في مارس 1836 لدراسة التاريخ والفلسفة بجامعة فريدريش فيلهلم، وشرع في إنجاز أطروحته للدكتوراه عام 1839 حول الفلسفة الإبيقورية، وعمل على دراسة جوانب الاختلاف بين الفيلسوفين ديموقريطس وأبيقور، وقد تخرج بدرجة الدكتوراه سنة 1841 من كلية الفلسفة بجامعة ينا، وهي من أعرق الجامعات الألمانية.

عمل كارل ماركس محررا في صحيفة الراين، وتولى رئاسة تحريرها في أكتوبر-تشرين الأول 1842 لكن الجريدة مُنعت من الإصدار في بداية 1843، ثم عمل بعد ذلك بسنوات مراسلا لصحيفة "نيويورك تريبيون"، وقضى الجزء الأهم من حياته في التأليف والكتابة. تولى رئاسة فرع الرابطة الشيوعية في بروكسيل سنة 1847، وأسس جمعية العمال الألمان بالمدينة نفسها، وعمل بِمَعِية صديقه فريدريك إنجلز على صياغة بيان الحزب الشيوعي بتكليف من المؤتمر الثاني للرابطة الشيوعية، الذي عُقد بلندن نهاية نوفمبر/تشرين الثاني 1847.

أسس الجمعية الدولية للعمال (الأممية الأولى) عام 1864 لأجل توحيد صفوف الحركة العمالية بأوروبا، وسهر على صياغة رسالتها الافتتاحية، وترأسها من عام 1866 إلى 1872.توفي كارل ماركس في 14 مارس-آذار 1883 بعد عدة أشهر من المرض،

تأثر ماركس في بداية حياته الجامعية بالفلسفة الهيجلية (نسبة إلى الفيلسوف الألماني جورج فريدريك هيجل) حيث كان يتردد على حلقات الهيجليين الشباب في برلين، لكنه ما لبث أن تأثر أثناء إعداده لرسالة الدكتوراه بالفلسفات المادية، وكانت النزعة الإلحادية ونقد الدين يطبعان نقاشاته الفلسفية مع صديقيه موزس هس وبرونو باور المتأثرين بأعمال الفيلسوف المادي لودفيغ فيورباخ.

فقد شكلت الهيجلية أو الفلسفة الألمانية رافد معرفيا مميزا لتكوين ماركس إضافة إلى السياسة الانجليزية والاشتراكية الفرنسية، لكن في الحقيقة لم يكن ماركس في أي لحظة هيجليا حقيقيا : أولا لأنه لم يتقبل فكرة تواؤم الفكرة مع الواقع، ثم لأنه حتى بعد أن توغل في الهيجلية، لم يكن يرى في الفكرة اكتمالا وتكريسا للنظام القائم، وإنما ذلك المشروع البعيد لنظام مستقبلي يمكّن الإنسان من تحقيق ذاته بالممارسة، بالفعل، بالصراع.

فقد حاول ماركس تقديم نظرية منظمة عن البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي، فكان أول عرض لنظرية المادية التاريخية لماركس في كتاب الإيديولوجية الألمانية ولاسيما في القسم الذي يتحدث فيه عن فيورباخ ولكن لا ريب في أنها كانت ستتجدد بصورتها الأكثر إدهاشا وفعالية في البيان الشيوعي الذي كتبه مع فريدريك انجلز ونشر في العام 1848 في عشية الإضرابات الثورية الكبرى لذلك العام، فصاغ بذلك نظريته المعروفة بالماركسية التي ظهرت في سياق تاريخي تميز بالصراع النضالي والجدلي بين البورجوازية مالكة وسائل الإنتاج، والطبقة العمالية صاحبة القوة الإنتاجية، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، عصر الثورة الصناعية والعمالية، وكان سبب هذا الصراع هو الظلم الذي كانت تعانيه الطبقة البروليتارية؛ من جراء تعسف الطبقة البورجوازية وبطشها وتجبرها وتعنتها، إلى جانب ما كانت تمارسه من استغلال واستلاب ومعاملة سيئة في حق هؤلاء العمال، وطردهم من أعمالهم ووظائفهم ومناصبهم.

فالماركسية فلسفة عمالية بروليتارية راديكالية همها الوحيد هو، وثورية الصراع الجدلي المستمر، والقضاء على البورجوازية الليبرالية، وتجاوز ماهو نظري وديني وروحي إلى ماهو مادي واقتصادي ومجتمعي، والإيمان بالتغيير الجذري الجدلي. فيبني ماركس التصور السوسيولوجي، للمنظور المادي التاريخي والجدلي، بإقامة مجتمع اشتراكي تسيطر فيه الطبقة البروليتارية على وسائل لإنتاج، ريثما يتحقق الانتقال إلى المجتمع الشيوعي الذي تنعدم فيه الدولة والطبقات، وتشيع فيه الأموال والنساء، وينبني هذا التصور الماركسي على مراحل تاريخية متعاقبة هي: مرحلة انتصار الاشتراكية في الاتحاد

السوفياتي؛ ومرحلة التكوين الاشتراكي العالمي؛ ومرحلة الشيوعية، وتحول الدول الرأسمالية إلى دول اشتراكية، ثم الانتقال إلى دول شيوعية.

قدمت الماركسية بناءا على هذا التصور –في ضوء التغيرات في أسلوب الإنتاج وتكوين الطبقات والصراع بينها- تفسيرا عليا للتطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية، ولأصول وتطور الرأسمالية الحديثة على وجه الخصوص والتي أمكن التعبير عنها في صورة قوانين تاريخية، وأمكن أيضا في ذلك الوقت الاستنباط من عملية الانهيار الضروري للرأسمالية والتحول إلى الاشتراكية وكان للماركسية استنادا لهذا المظهر كعلم وضعي أثرها على علم الاجتماع أثناء مراحل تكوينه، والذي كانت قد تظهر به كنسق في علم الاجتماع –بمعنى علم عام وشامل للمجتمع- وأثارت ردود فعل كبار المفكرين في علم الاجتماع وتمت الاستعانة بهذا النسق بدوره في تقديرات علم الاجتماع النقدية لأفكاره، وظهرت الماركسية وغيرها من نظريات علم الاجتماع أطر في التفكير متصارعة تتنازع على نفس الميدان.

ويعد كارل ماركس مؤسس اتجاه الصراع الذي هو أحد الاتجاهات الأساسية في النظرية الاجتماعية، وسبب هذا الصراع قائم على المصالح بيـن الطبقات الاجتماعية حيث اعتبرها ماركس تناقضات داخلية تظهر في المجتمع فالطبقـات المالكة لوسائل الإنتاج تكون قادرة على استغلال الطبقات الأخرى لصالحها و الطبقـات التي يقع على كاهلها هذا الاستغلال مهتمة بإحداث تغييـــرات أساسية في هذا النظام، لتضع حدا لاستغلاله، إذا أصبح لدى تلك الطبقات وعي كاف لإحداث ثورة يكـــون من نتائجها المزيد من التقدم لتكنولوجي.

يرى ماركس أن البناءات الاجتماعية لا توجد أو تنشا بشكل عشوائي فقد أوضح انه يوجد شكل أو نموذج محدد معروف للطريقة التي يتم بها تنظيم الإنتاج للسلع المختلفة أو عملية الإنتاج بشكل عام من قبل المناطق المختلفة بالعالم وفي أوقات مختلفة من التاريخ، وتسمى هذه النظرية المرتبطة بالتاريخ والمجتمع بالمادية التاريخية ويمكن تعريف عناصرها المختلفة.

ويعتقد ماركس أن التطور التاريخي للجماعات البشرية ساهم بشكل فعال في تطور الملكية، وقد حدد لهذه الملكية عدة أنواع ومراحـــل، فقد تكون الملكية في ظل:

- (الشيوعية البدائية) حيث لا طبقات.
- العبودية (الأسياد والعبيد) حيث طبقتان، و أوضح ماركس بان العبيد تغلبوا على أسيادهم وكونوا طبقة الإقطاع.
- الإقطاع (الإقطاعيون والفلاحين) حيث طبقتان أيضا وهم البرجوازيين الذين أسسوا المدن والفلاحين أتباعهم.
- المرحلة الرأسمالية (الرأسماليون يملكون وسائل الإنتاج والبروليتاريا لا يملكون وسائل الإنتاج) حيث طبقتان أيضا وهي آخر مرحلة فئة الطبقتين.
- الاشتراكية حيث لا طبقات وحيث كل شيء مملوك للدولة.
- الشيوعية وهي المرحلة الأخيرة حيث لا طبقات ولا دولة.

ومن خلال هذه الأنظمة المتعاقبة، توصل كارل ماركس إلى أن المجتمع ينقسم إلى طبقتين: الأولى رأسمالية مالكة لوسائل الإنتاج، والثانية تتمثل في طبقة البروليتاريا الكادحة والتي من شأنها القيام بالثورة ضد الطبقة الأولى لتستعيد مكانتها في المجتمع.

علاوة على ذلك، كلما احتدم التنافس والصراع ظهرت الحكمة كنتيجة، ونتيجة تبادل الرأي يقع التفاهم أو الاتفاق، وعن طريق المنافسة يحل التقدم، وقد أطلق هيجل على عملية تصارع انساق الأفكار اسم العملية الديالكتيكية والتي تشير إلى تنافس قوتين متعارضتين يؤدي هذا التعارض إلى ظهور قوى عديدة نتيجة لهذا الاحتدام بينهما، ويعد نسق الأفكار قوى تاريخية في نظره ذات أهمية خاصة في مسار التاريخ الحضاري.

وهكذا يمكن القول بأن جدل الديالكتيك عند هيجل هو الذي وضع أساس نظرية الصراع الاجتماعي عند كارل ماركس، فقد حوّل ماركس هذا الديالكتيك من صورته العقلية الفكرية إلى صورته المادية التاريخية التي تشير إلى أن "كل شيء في تغير وتحول وتبدل" أي بدلاً من صراع الأفكار يحل محله صراع الطبقات الاجتماعي بالمفهوم المادي الاقتصادي الاجتماعي للطبقة وليس بالمفهوم الثقافي والنفسي ونجد ماركس نفسه يعترف بذلك في رسالة بعثها عام 1852 إلى شيوعي ألماني يدعى قيدماير كان يعيش بالمنفى بالولايات المتحدة الأمريكية يقول:" فيما يخصني لا يعود لي الفضل في اكتشاف ولا إيجاد الطبقات في المجتمع ولا في الصراع فيما بينها، وإنما يعود الفضل في ذلك إلى مفكرين بورجوازيين من قبلي بكثير، من مؤرخين تبنوا التطور التاريخي لهذا الصراع.

وعليه قام تحليل ماركس على أساس الظروف المادية بعيدا عن القوى الروحية، ومن ثم أسس نظريته الاجتماعية على قوانين ثلاثة هي:

- قانون وحدة الأضداد وصراعها .
- قانون الانتقال من التغير الكمي إلى التغير الكيفي.

- قانون نفي النفي؛ و في هذا الاتجاه، تأثر ماركس بالفيلسوفين الألمانيين هيجل وفيورباخ، معتبرا تطور المجتمعات يسير على مسارين؛ مسار مجرد : وأوضح بأن هناك بناءا تحتيا وهو الاقتصاد (قوى الإنتاج- العمالة وهم الآلة وعلاقات الإنتاج بين مالكي وسائل الإنتاج وقوى الإنتاج)، وبناءا فوقيا وهي النظم الأخرى بالمجتمع كالقيم والدين، ومسار ملموس: وهو وجود طبقتين(الرأسماليين والعمال) وهناك صراع بينهم بناء على فائض القيمة.

وبالتالي فهناك علاقة جدلية بين البناء التحتي و الفوقي، أي بين قوى و وسائل الإنتاج و بين نظم وقيم المجتمع، ثم بين طبقتي المجتمع : الرأسماليين و العمال.

فالمادية الديالكتيكية سميت كذلك لأن أسلوبها في النظر الى حوادث الطبيعة وطريقتها في البحث أو المعرفة هي ديالكتيكية ولأن تحليلها لهذه الحوادث وتصورها لها هي مادية.

يقول كارل ماركس "إن طريقتي الديالكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الأساس فحسب، بل هي ضدها تماما، فحركة الفكر، هذا الفكر الذي يشخصه هيجل ويطلق عليه اسم (الفكرة) هي فينظره خالق الواقع وصانعه، فما الواقع إلا الشكل الحداثي للفكرة، أما في نظري فعلى العكس ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية منقولة إلى دماغ الإنسان ومستقرة فيه".

ومنه فالديالكتيك الماركسي يختلف تماما عن ديالكتيك هيجل سواء في المنهج أو في المضمون، فديالكتيك هيجل يقوم على أن المتناقضات التي تنشأ في العقل الجمعي أولا ثم تنعكس على أرض الواقع

لكن هذه الجدلية لم تعجب ما ركس وأنجلز، وقال بأن المذهب الهيجلي يمشي على رأسه ولابد أن يعاد إلى توازنه ويمشي على قدميه وبالتالي فكارل ماركس وأنجلز أخذا من جدل هيجل نواته فقط بعيدا عن المثالية التي كان يبحر فيها هيجل مع أفكاره.

4- ماكس فيبر:

كارل إميل ماكسيميليان، المعروف باسم ماكس فيبر Max Weber ولد بمدينة أورفورت Erfurt الألمانية سنة 1864، وتوفي بمدينة ميونيخ Munich 1920 من عائلة بورجوازية، من أهم الفلاسفة الألمان، ومن أهم علماء القانون والاجتماع والإدارة والاقتصاد السياسي، ويعد أيضا من أهم رواد السوسيولوجيا المعاصرة.

ويعد ماكس فيبر أيضا من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أرسوا دعائم السوسيولوجيا التأويلية بتجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والإنساني، وبتعبير آخر، لقد أخرج فيبر علم الاجتماع من إطار التفسير نحو الفهم والتأويل، بالتركيز على الفعل المجتمعي بدل البنية المجتمعية، والتمييز بين العلوم الوضعية.

حاول ماكس فيبر من خلال آلياته المنهجية أن يجعل من السوسيولوجيا علماً فهمياً وتجريبياً يهتم بالفعل والفاعل الاجتماعي؛ فالفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع عند ماكس فيبر ولقد عرفه بأنه "صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الإتجاه الداخلي أو الخارجي الذي يكون معبراً عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، إنه يكون الفعل عندما يخصص الفرد معنى ذاتياً معيناً لسلوكه، والفعل يصبح اجتماعياً عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطي لهذا الفعل بواسطة الفرد بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجهاً نحو سلوكهم".

عاش ماكس فيبر معارضا للفيلسوفين الألمانيين المتميزين - **ماركس ونيتشه**- إذ اكتفى بفهم العالم وتأويله على حد سواء، متجاوزا بذلك عمليتي التفسير و التغيير، بمعنى أن فيبر كان يدافع عن فلسفة التأويل، في حين، كان ماركس يدافع عن فلسفة التغيير، وإذا كان ماركس قد تجاوز الحقيقة إلى البحث عن العدالة، فإن فيبر مازال متعلقا بتلك الحقيقة، محاولا فهمها وتأويلها ورصدها عبر المعايشة، وقد انحاز فيبر إلى منهج العقلانية ورفض المناهج القائمة على فكرة التطور أو الجدل أو التفسير المادي، واستبدل البنية التحتية بالبنية الفوقية وجعل الثقافة هي الأساس في تحريك التاريخ والمجتمع والسياسة والاقتصاد، كما قال بتعددية الأسباب، ولم يقل بسبب واحد كما فعل ماركس حينما ركز على السبب المادي، فإذا كان في السياسة، أبدع فيبر فقد جعل منها حقلا للبحث العلمي، بحث فيه قضايا السيطرة والهيمنة والطاعة والشرعية والمشروعية والكريزما والسلطة والبيروقراطية والدولة والنفوذ والحق والقانون، وحاول أن يميز فيه بين السياسي الذي يعيش من السياسة وذاك الذي يعيش لها، لقد تجسد اهتمامه العملي بهذا الحقل من النشاط البشري في انتسابات متتالية إلى الأحزاب التي كانت قائمة في أيامه، أما الانسحابات المتتالية منها فقد أظهرته أكثر ميلا إلى الممارسة النظرية منه إلى الممارسة السياسية المباشرة وأكثر نجاحا في الأولى منه في الثانية، فهو لم يكن مجرد عام اجتماع يهتم بالسياسة، بل هو - حسبما يقول النقاد- مؤسس علم اجتماع.

جعل ماكس فيبر موضوع السوسيولوجيا فهم الفعل الاجتماعي وتأويله بالاعتماد على منهج الفهم، وهدف السوسيولوجيا عنده تفسير هذا الفعل المرصود سببيا بربطه بالآثار والنتائج، ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع، مهما كان ذلك السلوك ظاهرا أو مضمرا، صادرا عن إرادة حرة أو كان نتاجا لأمر خارجي، ومن ثم، يتخذ هذا الفعل - أثناء التواصل والتفاعل - معنى ذاتيا لدى الأخر أو الآخرين، مادام هذا الفعل الاجتماعي مرتبطا بالذات والمقصدية، أي: الإجابة عن سؤال جوهري ألا وهو: كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه؟ بمعنى أن "الفعل الإنساني عند فيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفا، وأما الفعل المجتمعي، فهو السلوك الذي يسلك تجاه الآخرين، من خلال مايراه في سلوك الآخرين من دلالة ومعنى وهدف".

يركز ماكس فيبر على دراسة الفعل أو السلوك الاجتماعي الذي يتحقق بالتفاعل بين الأفراد، ويتخذ هذا الفعل معنى ذاتيا وغرضيا، ومن هنا، فقد انتقل ماكس فيبر بعلم الاجتماع من عام الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية أي: انتقل من الموضوع إلى الذات، أو من الشيء إلى الإنسان، كما تجاوز المقاربة الوضعية نحو المقاربة الهيرمونيطيقية التي تقوم على الفهم والتأويل الذاتي الإنساني، وبهذا، قد أحدث قطيعة إبستمولوجية، ضمن مسار علم الاجتماع، بتأسيس المدرسة التأويلية أو الهيرمونيطيقية أو سوسيولوجيا الفهم .

وفي محاولة تفسير النسق الديني قدم ماكس فيبر مجموعة من الدراسات يمكن أن تدخل تحت علم الاجتماع الديني لعل من أهمها تلك الدراسة التي حاول فيها أن يناهض الفكر الماركسي في أساسه وجوهره والتي تقع تحت عنوان الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ثم قام فيبر بعد ذلك بدراسات مقارنة تناولت الأديان الكبرى والعلاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة والاتجاهات الدينية من جهة أخرى، وعن الدور الذي الذي يلعبه الدين من خلال دراسات فيبر فإن **ريمون آرون** يقول: "إن نقطة الانطلاق في دراسات فيبر عن علم الاجتماع الديني هما في اعتقاده بأن فهم أي اتجاه يحتاج من الباحث إلى إدراك تصور الفاعل للوجود بأكمله" إذ في ضوء هذا الاعتقاد حدد فيبر التساؤل الآتي لكي يجيب عليه دراساته. إلى أي مدى تؤثر التصورات الدينية عن العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة المجتمعات ، فحسب **ريمون آرون** فماكس فيبر في دراسته لتأثير الأخلاق البروتستانتينية على الرأسمالية كان يريد أن يؤكد قضيتين هما :

- أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات يفهم في إطار تصورهم العام للوجود وتعتبر المعتقدات الدينية وتفسيرها إحدى هذا التصورات للعالم والتي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات بما في ذلك السلوك الاقتصادي.

- إن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي ومن ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك.

كما يعتبر فيبر أن التصورات الدينية هي بالفعل إحدى محددات السلوك الاقتصادي ومن ثم فهي تعد من أسباب تغير هذا السلوك، على أن فيبر لم يعالج الجوانب المختلفة للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية بل اكتفى بدراسة الأخلاقيات الاقتصادية للدين ويقصد منها ما يؤكد عليه الدين من قيم اقتصادية، ويرى فيبر أن الرأسمالية الحديثة تمثل في حقيقة الأمر ظاهرة فريدة تنحصر خصائصها الأساسية فيما يلي: المشروع الاقتصادي القائم على التنظيم العقلي والذي تتم إدارته وفقاً لمبادئ علمية والثروات الخاصة والإنتاج من

أجل السوق، والإنتاج للجماهير وعن طريقهم والإنتاج من أجل المال والحماس المتزايد والروح المعنوية العالية والكفاءة في العمل تلك التي تتطلب تفرغاً كاملاً من الفرد ليزاول مهنته أو عمله وهذا التفرغ يجعل من العمل المهني هدفاً ومطلباً رئيسياً في حياة الفرد وهذه الأخلاق المهنية تعتبر من السمات الواضحة لروح الرأسمالية الحديثة. بيد أن الرأسمالية تتطلب كذلك وجود أفراد يتميزون بخصائص سيكولوجية معينة وظروف اجتماعية معينة فالتنظيم الرأسمالي لا يتحقق في مجتمع يتسم أفراده بالكسل ويتمسكون بمعتقدات خرافية ويتميزن بعدم الكفاءة كذلك فلابد من توافر مجموعة من الظروف إلى جانب الخصائص السيكولوجية التي ذكرها وهذه الظروف هي رأس مال عقلي وإدارة للعمل وامتلاك كل وسائل الإنتاج وتوفر وسيلة للإنتاج وشيوع قانون عقلي وازدياد العمل الحر وتسويق لمنتجات العمل، ويذهب فيبر إلى أن بنيامين فرانكلين قد عبر بصدق عن السمات السيكولوجية اللازمة لوجود النظام الرأسمالي مثل أن الأمانة هي أفضل سياسة، والحساب الدقيق ضرورة لأي عمل، السلوك المنظم، المثابرة، الكفاية، الصدق والإخلاص.

5- إيميل دوركايم (1858-1917)**:**

يعد ايميل دوركايم بالإضافة إلى كارل ماركس وماكس فيبر أحد أهم ثلاث شخصيات ذات تأثير فريد في تطوير وإنشاء السوسيولوجيا، اذ يعده الكثير من علماء الاجتماع واحد مؤسسي علم الاجتماع الأكاديمي، وعلى خلاف ماركس وفيبر، فقد حدد دوركايم مهنته على انها مهمة تطوير علم الاجتماع كعلم مقبول ذي قدر داخل عالم الجامعة، وقد نجح في أداء هذا الدول المحترف.

يعد إيميل دوركايم من أوائل الفرنسيين في علم الاجتماع الذين ساروا في طريق العمل الأكاديمي أثر تطلعه هذا في نشاطه وأفكاره، فقدر له أن يواجه ظروفا مرتبطة بالعمل الجامعي عكس سابقيه ابن خلدون وأوجست كونت، وماركس، الذين كانوا رجال فكر، ورجال حياة عامة، ولد دروكايم في 15 أفريل 1858 بمدينة إبينال بمنطقة اللورين- المقاطعة الفرنسية الشرقية- كان والده من الحاخامات اليهود، الذي أراد لابنه أن يسير على نهج الأسرة، بأن يصبح رجل دين، وقد أراد الابن لنفسه هذا أيضا، ومن ثم درس العبرية وقرأ كتاب العهد القديم والتلمود الذي يحوي تعاليم الأحبار، وفي الوقت نفسه وبعد محاولتين فاشلتين تم قبوله بمدرسة النخبة -نورمال سوبريور- في باريس سنة 1879 وفيها التقى بعدد من العلماء والمفكرين الذين تركوا آثارا واضحة على الحياة الفكرية في فرنسا، من أمثال هنري برجسون الفيلسوف الشهير، وبيير جانيت الباحث في علم النفس، وكان من أكثر أساتذة المدرسة تأثيرا فيه فوستل دي كولانج مؤلف كتاب (المدينة القديمة) والذي أصبح بعد ذلك مديرا للمدرسة.

وبعد تخرجه من مدرسة النخبة بباريس سنة 1882 اشتغل دوركايم بالتدريس في المدارس الثانوية حتى سنة 1887 ثم أتيح له أن يذهب إلى ألمانيا في إجازة علمية، وهناك تعرف على فكر (فاجنر) و(شمولر) و(فونت) وتأثر بهم وانعكس هذا على موقفه الفلسفي، سواء من الفكر أو من الواقع، هذا بالطبع بجانب تأثره البالغ بفلاسفة عصر التنوير من أمثال (جان جاك روسو) ومونتسكيو، كما تأثر بالطبع بفكر (سان سيمون) الذي عده دركايم أستاذه في علم الاجتماع.

وأما عن أبرز الملامح البنائية للمجتمع الذي عاش فيه، فمع أن فرنسا كانت تنؤ في أوائل ومنتصف القرن التاسع عشر بالثورات، إلا أن المسرح السياسي في تسعينات هذا القرن عايش هدوءا نسبيا، وأما عن مجتمعه الذي قضى فيه سنوات الطفولة والتنشئة الاجتماعية الأولى، فقد كان مجتمعا يهوديا محافظا ومتضامنا تسوده علاقات مباشرة، ومع أنه انتقل إلى العاصمة (باريس) حيث المجتمع المتباين فلم ينس

ارتباطاته الأولى حتى أن يخيل للمرء أن تصوره للمجتمع لم يخرج عن هذين النمطين مجتمع الطفولة البسيط، ومجتمع العاصمة المعقد، كما اتضح من تصوراته للتضامن الآلي والتضامن العضوي، على أن فهمنا لتصوره لدور علم الاجتماع يقتضي تفحص علاقته بالفكر الاشتراكي حيث بدأ يهتم ومبكرا بهذا الفكر، سواء ما قدمه (سان سيمون) أو (ماركس)، ففي الوقت الذي كان يطلع فيه على أنماط هذا الفكر، بدأ يخط التصور الأول لدراسته الشهيرة حول (تقسيم العمل) وكانت النتيجة أن صاغ أفكارا ونظريات متأثرة حينا بالمقولات الاجتماعية للاشتراكية ومناهضة لها أحيانا أخرى ولكن تصوراته كانت تؤكد التضامن الاجتماعي بدلا من الصراع الاجتماعي.

ومن اهم النظريات التي عالجها دوركايم : لدى دوركايم إسهامات عديدة في النظريات الاجتماعية والسياسية, ومن خلال قراءتي سوف اقسم إسهاماته النظرية إلى الآتي :

يتناول دوركايم قضايا تتردد بشكل أو بآخر في كل كتبه خاصة مسألة تقسيم العمـــــــــــل والتضامن الاجتماعي؛ التي تعتبر أول دراسة هامة لدوركايم، أين حدد لنفسه مهمة أساسية تتلخص في التدليل على نمو تقسيم العمل بوصفة يمثل عملية تاريخية ضرورية ويؤدي بالتالي إلى تزايد التضامن الاجتماعي بين الناس فـــــــــهذه (الوظائف) يؤديها الناس وقد انتظموا في ترتيب طبقي محدد تتباين فيه درجات الثروة والقوة والهيبة الاجتماعية وأيضا إن تطور الصناعة وتقسيم العمل الحاصل به لن يؤدي إلى صراع المصالح والتفكك, لذا على الدولة الاستمرار دعم النسق الأخلاقي العام في المجتمع لكي لايحدث خلاف ذلك، فإن كانت هناك بعض الإصلاحات الاجتماعية الضرورية التي تساهم في إقامة عدالة حقيقية وإيجاد تضامن اجتماعي، لذلك لا يتعين فصل الأخلاق عن العلم وإنما يجب أن نحاول إقامة علم أخلاقي مختلف تماما عن تلك الفلسفة الأخلاقية، والسبب الأساسي في ذلك أن القواعد الأخلاقية إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بظروف الحياة الاجتماعية والتي تعتبر نسبية من حيث الزمان والمكان وهكذا يسعى علم الظواهر الأخلاقية إلى تحليل اثر الصور المتغيرة للمجتمع في تغير طابع المعايير الأخلاقية محاولا ملاحظة ووصف وتصنيف هذه المعايير.

يعتقد دوركايم أن تقسيم العمل ظاهرة ليست حديثة النشأة ولكن الجانب الاجتماعي لها أخذ يظهر بوضوح منذ وآخر القرن الثامن عشر ، فدوركايم يؤيد وجهة نظر العالم أوجست كونت الذي يقول إن تقسيم العمل ليس مجرد ظاهرة اقتصادية وإنما شرط أساسي للحياة.

انتقل دور كايم بعد ذلك إلى البحث عما إذا كانت هناك نماذج متعددة للتضامن الاجتماعي, وانتهى إلى وجود نموذجين أساسيين للتضامن هما التضامن الآلي والتضامن العضوي؛ فالتضامن الآلي ينتشر في المجتمعات البدائية أو التقليدية حيث يسود في المجتمع شعور قوي بينما يرتبط التضامن العضوي بالمجتمعات الحديثة التي يزداد فيها تقسيم العمل, فكان المجتمع الذي ينتشر فيه التضامن الآلي هو المجتمع الانقسامي, ويتميز هذا المجتمع بسمات اجتماعية خاصة, إذ يغلب على السلوك الإنساني فيه التجانس الاجتماعي, والذي تكون فيه الأفكار والمعتقدات والعادات والآراء, وطرائق السلوك الفردي ولجماعي, أما من حيث القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي الذي يعني مجموعة المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع، والتي تكون نسقا خاصا ومثل هذا الضمير العام له وجوده الخاص المتميز فهو يدوم عبر الزمن , ويعمل على توحيد الأجيال , والضمير الجمعي يعيش بين الأفراد لكنه يتميز بالقوة والاستقلال وبخاصة حينما تزداد رجة التشابه بين الأفراد وهذا من وجهة نظر دوركايم.

نظر دوركايم إلى علم الاجتماع من حيث كونه يهتم بدراسة المجتمع وما ينبعث عنه من ظواهر دراسة علمية وصفية تحليلية ولكي يحقق العلم هذه الغاية فانه لابد من منهج علمي يستطيع بفضله إلى الوصول إلى قوانين الظواهر ولقد وضع دوركايم الخصائص التي يجب إن تتميز بها دراسات علم الاجتماع والتي يمكن إيجازها في الآتي

- يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء بمعنى أن تخضع للملاحظة والتجربة.
- يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة حتى لا يقع أسير الأفكار الشخصية.
- يجب على الباحث إن يبتدئ بتعريف الظاهرة التي يتخذها مادة للدراسة.
- يجب على الباحث عند دراسة طائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية إن يبذل قصارى جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية .

كما يلح دوركايم على ضرورة ملاحظة ما للظواهر الاجتماعية من صفات نوعية خاصة بها تختلف عن الظواهر الفردية حيوية كانت أم نفسية، ولتوضيح هذه الطبيعة الخاصة للظاهرة الاجتماعية يشرح ايميل دوركايم تلك الصفات الخاصة التي تميزها عن غيرها من الظواهر وهذه الصفات هي: الموضوعية العمومية، الإلزام والقهر التلقائية الترابط.

وينطلق إميل دوركايم في كتابه **الانتحار** من نتيجة أساسية، وهي أن الانتحار ليست ظاهرة نفسية أو عضوية بل هي ظاهرة مجتمعية، مرتبطة بتقسيم العمل في المجتمع الرأسمالي الصناعي، وبالتالي يتحدد معدل الانتحار بحسب درجة اندماج الأفراد في الجماعة، والعلاقة بينهما علاقة علية أو سببية.

كما رسم دوركايم الملامح الرئيسية لأربعة أنواع من الانتحار اعتمادا على الوجوب والغياب النسبيين للتنظيم الاجتماعي وهي: انتحار الوحدة أو العزلة الاجتماعية، الانتحار الإيثاري، انتحار التفسخ الاجتماعي، الانتحار القدري.

كما حاول دوركايم في كتابه عن (الصور الأولية للحياة الدينية) الذي ظهر سنة 1912 أن يقدم لنا تحليلا دقيقا لصور ومصادر وطبيعة وأثار الدين من نفس ديانته السوسيولوجية، وحاول أيضا دو أن يبحث عن أصل الدين وذلك بتحليل الدين في أكثر المجتمعات البدائية, يعتقد دوركايم أن التغيرات في الشكل تؤدي إلى تغيرات جوهرية في الطبيعة, ويرى إن الوقوف على تطور المجتمع من البسيط إلى المركب سوف يحدد لنا مجرى التطور الاجتماعي.

لقد استطاع دوركايم أن يقلب الأدوار فعلا فقد أصبح علم الاجتماع معه يقوم بدور التوجيه العلماني لكل المؤسسات التي كانت خاضعة للتوجيه الديني، يعني هذا أن إميل دوركايم كان ينطلق من فلسفة وضعية علمانية تجريبية، تفصل الدين عن الدولة، كما تفصله عن العلم، أي: لم يكن دوركايم يولي الدين أو الأخلاق أو القيم أية أهمية في دراسة المجتمع وظواهره المختلفة.

لقد حاولنا في هدا المحور التطرق لمجموعة من رواد علم الاجتماع العربي والغربي الذين ساهموا في تأسيس علم الاجتماع أو ما يسمى أيضا بالسوسيولوجيا، بمختلف فروعها، واللذين حاولوا صياغة و إنماء

نظريات عامة تلائم البنى الاجتماعية لمجتمعاتهم، والتي يمكن أخدها كقوالب منهجية ونظرية لفهم وتفسير الواقع.

المحاضرة الخامسة: المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع:

تمهيد:

نظرا لخصوصية الظواهر الاجتماعية والتي تختلف عن الظواهر الطبيعية، فإننا نجد ذلك الزخم من النظريات التي صاغها علماء الاجتماع سعيا منهم لتحقيق الدقة والموضوعية العلمية، في دراستهم وتناولهم للظواهر الاجتماعية، والمقصود بالمدخل النظري "مجموعة النظريات والنماذج والباراديغمات التي حاول من خلالها أصحابها فهم وتفسير الواقع والمجتمع، منطلقين من فرضيات وصولا إلى نظريات يفسرون من خلالها ما تم تناوله".

كما تختلف النظريات والنماذج التي قدمها علماء الاجتماع حسب اختلاف المجتمعات والسياق التاريخي لكل نظرية، إذ يمكن الحديث عن مجتمع الحداثة ومجتمع مابعد الحداثة، ويمكن الحديث عن نظريات كلاسيكية ونظريات معاصرة.

لذا نحاول من خلال هذا المحور أن نتناول المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع، بدءا بالمدخل الإسلامي (الخلدوني) ثم المدخل الوضعي وما تفرع عنه من نظريات: كالوظيفية، البنيوية، نظرية الفعل وأخيرا المدخل الماركسية وما انبثق عنه من نظريات: كالنظرية الماركسية والماركسية المحدثة.

وقبل الحديث عن المداخل الكبرى في علم الاجتماع، من الضروري أن نشير إلى أن المدخل النظري كما يعبر عنه موريس انجرس أنه:"المدخل على أنه طريقة خاصة غير تقليدية واستعمال النظرية"، فالمدخل النظري يشير إلى الطريقة المرنة لتناول البحث من منطق نظري (اتجاه فكري أو مدرسة) بحيث يشكل خلفية فكرية للباحث، وإذا كان التفاعل من هذا المنطلق يتطلب قدرا من المرونة فإن عملية التبني لأي تصدر تحتاج إلى كثير من الصرامة والدقة والتنظيم، حتى يتوفر الباحث على الوضوح النظري الكافي، والقدرة على رسم الخطوات المنهجية اللاحقة

فالمدخل النظري المحدد بدقة ووضوح يسمح للباحث بالاقتراب الدقيق نقطة أو حلقة وصل بين الإطار المرجعي والمنهجية المتبعة فهو:

- على المستوى التصويري يساعد على تحقيق التناسق المنطقي، وعلى تبصر جوانب الظاهرة المدروسة، وتبين أبعاده المختلفة والاستفادة مما قدم ذلك من تحليلات ومفاهيم وقضايا.
- وهو يسمح على المستوى العملياتي باختيار المناهج الملائمة للدراسة التي تجرى عن واقع بعينه وفق المنظور المتبنى.

ونتيجة لذلك فهو يحقق الانسجام بين الجانب التصويري للبحث والجانب الميداني والجانب التفسيري.

ففي إطار المدخل النظري تتحد جملة المبادئ والمسلمات الموجهة للبحث ومجالاته ولطبيعة المعرفة الإنسانية ومصادرها بما في ذلك مجموعة التصورات الخاصة التي يتبناها الباحث عن الكون و الإنسان و المجتمع والتاريخ.

كما يحدد الخطوات الكبرى التي يسير عليها الفكر في انتقاء وتنظيم المعطيات التي تتناول الحياة الاجتماعية والمنحى الذي ينحوه هذا الفكر لتنسيق هذه المعطيات وربطها ببعضها والإطار الذي تتحد فيه طبيعة الارتباطات أو العلاقات بين الظواهر الاجتماعية والتي تفضي إلى استخلاص القوانين الاجتماعية

1- المدخل النظري الإسلامي (الخلدوني):

لقد قدم علماء الإسلام إسهاما علميا في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، منذ القرن الثامن الميلادي والى الوقت الحاضر، والذي ظهر في الآثار العلمية وأنواع الإنتاج العلمي الأدبي، ويتميز العلم الإسلامي بالمكانة الأولى من الأهمية حين يدون تاريخ العلم، لأنه كان حلقة الوصل بين الحضارة القديمة والعالم الجديد، وقد حاول العلماء والمؤرخون المنصفون إبراز المنهجية الموضوعية العلمية التي اعتمد عليها علماء الإسلام لتبيان ماتوفر من ترابط بين مناهج البحث، ومن الأبحاث العلمية المختلفة التي قام بها علماء الإسلام لمعرفة مدى انطباق (تطابق) هذه المناهج على الواقع العلمي الصحيح، من واقع الأبحاث العلمية لعلماء الإسلام، ومدى تطبيقها في العلوم الطبيعية والكونية.

ويتضمن المدخل النظري الإسلامي، جانبين متكاملين يتمثل الشق الأول في الجانب التصوري أي الاديولوجي والمذهبي، أما الشق الثاني فيتعلق بالإجراءات والخطوات المنهجية العملية التي تتوافق وهذا المدخل، فكل مدخل مقتضيات تتناسب ومنطقه الخاص به في رؤية الأشياء

الأساس التصوري للمدخل الإسلامي (الخلدوني):

يجب التسجيل عن الحديث عن التصور الإسلامي الأساس المذهبي والفلسفي، أنه يختلف كليا عن بقية التصورات والأطراف المذهبية في نقاط كثيرة لعل أهمها كونه إلهي المصدر، أي لا يستمد قضاياه وتصوراته من الفكر البشري وكونه يتسم بالتوازن بين الغيبي و الواقعي وبين المثالي والمادي، كما أنه يتميز بكونه يشكل إطارا متكاملا يتضمن حقائق تتناسق بالكون المادي والحياة الأرضية والوجود الإنساني وهو يعالج هذه الجوانب في ضوء تصوره الفريد لها، بطريقة متكاملة لا يمكن عزلها عن بعضها البعض.

لا يمكن الحديث عن الجانب المنهجي الذي يقترحه هذا المدخل من دون التطرق لأنواع المعرفة التي يفرضها الإسلام، حتى يتسنى لنا معرفة موقع علم الاجتماع منها، فالمجتمع الإسلامي يتميز بخصائص يختلف عن المجتمعات الأخرى، و إذا انتقلنا إلى الجانب المعرفي نجد أن هناك ثلاثة أشكال من المعرفة يلخصها علماء الإسلام فيها يلي:

- المعرفة الشرعية: وهي التي تستند إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتتضمن العقائد و العبادات ومصادرها كتب الفقه وعلوم القرآن والحديث والعقائد.
- المعرفة العقلية: وهي التي تتحصل عليها من خلال العقل والمنطق وتحصل عليها من خلال علماء الفلسفة والمنطق والحديث.
- المعرفة التجريبية: وهو المعرفة التي يتوصل إليها الإنسان من خلال المشاهدة والتجربة فنحن نتعرف على خصائص الأشياء من خلال الحواس سواء بالمشاهدة أو التجربة، وهي المعرفة التي نستنتجها من خلال التجارب الإنسانية المختلفة

يتميز منهج ابن خلدون في دراسة الظواهر الاجتماعية بخصائص ثلاث:

- الشمولية: فقد نظر إلى الظاهرة الاجتماعية نظرة شاملة، حيث تحدث عن ضرورة الاجتماع البشري، ثم فصل في خواصه، بحيث يشمل جميع جوانب الموضوع تاريخيا، جغرافيا وايكولوجيا، فجاءت المقدمة في اتجاه الإحاطة بالموضوع فكريا من جوانبه كلها على نحو مانسميه اليوم (الشمول- الانسكلوبيدي) الذي يجعل من الكتاب دائرة معارف عامة تتبع ظهور العلم.

- الموضوعية: تتجلى عند ابن خلدون في تعريفه لواقعات (الظواهر) العمران البشري، وللأحوال (التطورات) وتبيانها بالأمثلة الواقعية، ولكنه لم ينسى في واقعيته الأسس النفسية، فقد تحدث في الفكر الإنساني، أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر، وفي العقل التجريدي وكيفية حدوثه، أثبت أن الإنسان جاهل بالذات، عالم بالكسب (أي انه جاهل بكل مايتعلق بالذات البشرية الإنسانية، وعالم بكل ما يجعله يكسب المادة).
- النظرة التكاملية: كان ابن خلدون يشرح دائما الارتباط بين الوقائع (الظواهر) الاجتماعية على الجملة، وبين كل واقعة مترددة فهذه الترابطات التي ينادي بها ابن خلدون في مقدمته هي دليل يجعلنا نؤكد انه نظر إلى المجتمع على انه كائن حي مترابطا عضويا، وليس في ذلك غرابة بسبب الثقافة الدينية المرتبطة بالنظرة الاجتماعية التي يتميز بها ابن خلدون وهي ما تقتضيه النظرة التكاملية في العلوم الإنسانية عامة مثلا المدينة هي الدولة التي كان يطلق عليها اسم المدينة وهي قد تطورت عن الأسرة فالعائلة ثم العشيرة والقبيلة وهكذا

2- **المدخل الوضعي:**

يقوم المدخل الوضعي على فكرة مؤداها أن الخبرة الواقعية هي مصدر المعرفة في كآفة فروع العلم سواء كان علم طبيعي أو اجتماعي، فقد أحدثت الوضعية قطيعة إبستمولوجية مع التصورات الأسطورية والميتافيزيقية، بتبني التجريب العلمي منهجا في تحصيل الحقائق وخاصة في مجال علم الاجتماع الذي أصبح علما مستقلا مع إميل دوركايم، فالوضعية تنبني على الاختبارات الحسية، والتفكير المادي، والموضوعية العلمية، والحياد في البحث والتجريب، والتخلص من اللاهوت والتفكير الميتافيزيقي، والمنفعة، والواقعية.

وترجع فكرة الوضعية قبل أن تكون نظرية إلى أوجست كونت وكان يقصد من الوضعية كل ماهو قائم على الواقع والخبرة، ورفض كل الفلسفات اللاهوتية والميتافيزيقية وكان كونت يريد من وراء هذه الفلسفة تحقيق غرضين:

- غرض فلسفي: وهو كل التصورات العلمية.
- غرض سياسي: وهو تقنين فن الحياة الاجتماعية، ولقد لخص جون ستوارت مل فلسفة كونت الوضعية حينما كتب يقول: "ليست لدينا معرفة عن أي شيء، وإنما توجد ظواهر ومعرفتنا بالظواهر نسبية ليست مطلقة، فنحن لا نعرف فقط علاقتها بالوقائع الأخرى سواء اتخذت هذه العلاقة صورة التتابع أو عدم التتابع، ومثل هذه العلاقة تابثة فهي تحدث إذا تكررت نفس الظروف، ويطلق على الظروف الثابتة التي تربط الظواهر ببعضها بعض وعلى التتابع الثابت الذي يجعل من بعض هذه الظواهر مقدمات والأخرى نتائج مصطلح القوانين، والقوانين وأسبابها المطلقة، سواء كانت كافية او نهائية، فهي غير معروفة، بل ويتعذر علينا الوصول إليها".

وترتكز النظرية الوضعية على مجموعة من المقومات النظرية والمنهجية، كالانطلاق من الإحساس وحده باعتباره مصدرا للمعرفة الاجتماعية؛ والاعتداد بالنموذج الطبيعي على أساس أنه سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية؛ وإخضاع الظواهر الاجتماعية للفحص والتجريب والاختبار؛ والقول بشيئية الظواهر الاجتماعية.

أ- السياق الفكري والاجتماعي لظهور الوضعية:

تنسب الوضعية للمفكر وعالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت (1798-1857) الذي عاش في فترة تميزت بالتفكك الأسري والاجتماعي، والفوضى العقلية والأخلاقية، والفقر والتهميش الذي طال اغلب الشرائح الاجتماعية، خلال الثورة الفرنسية، أمام تلك الظروف وذلك الوضع حول كونت تقديم نفع

للمجتمع الفرنسي وللإنسانية جمعاء، من خلال البحث عن طريقة تمكنه من إعادة التوازن والاستقرار للمجتمع الفرنسي وإصلاحه بالقضاء على الفوضى واستخلافها بالنظام، لقد كان كونت على يقين أن النظام القديم لم يصبح قادر على مسايرة التغيرات الجديدة الناتجة عن التقدم العلمي والتكنولوجي المرتبط بالثورة الصناعية.

أما من الناحية العلمية والفكرية فقد ارتبطت الوضعية بالثورة على الأفكار التقليدية التي كانت منتشرة في المجتمع الفرنسي والأروبي، والتي قدمها كونت ولخصها في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" وحاول من خلالها توجيه نحو الواقع، وفهم الوضع وتفسيره بعيدا عن التفسير الغيبي العقيم، بل يجب أن يكون على أساس المعرفة اليقينية المنظمة.

كما أن خلال هذه المرحلة -القرن التاسع عشر- تم تبني مناهج العلوم الطبيعية أو مناهج العلوم التجريبية والاحتكام إلى الفرضيات، والأخذ بالملاحظة الخارجية، والميل إلى التجريب، والقيام بكثرة الاختبارات، واستصدار القوانين والنظريات العامة، والاسترشاد بالحتمية التجريبية القائمة على العلية والارتباط بين المتغيرات المستقلة والتابعة. لذا، كانت العلوم الطبيعية، بما فيها: الفيزياء، والرياضيات، والفيزيولوجيا، والكيمياء، مثالا ونموذجا متميزا وصالحا للاقتداء به من قبل السوسيولوجيين الوضعيين.

تعتمد السوسيولوجيا الوضعية على منهجية التفسير في دراسة الظواهر المجتمعية، على أساس ارتباطها السببي والعلّي، بمعنى دراسة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة، ضمن رؤية تجريبية استقرائية وعلمية، بغية تحصيل القوانين والنظريات، أو اختزال مجموعة من الظواهر في أقل عدد من العمليات المنطقية الصارمة، ومن ثم، يعد التفسير من أهم مبادئ الفكر العلمي أو الفكر الوضعي الموضوعي، لذا، تشير كلمة السوسيولوجيا إلى هذا الجانب التفسيري الوضعي، بالربط بين مفهومين متضامين هما: علم ومجتمع. بمعنى أن السوسيولوجيا تدرس الظواهر المجتمعية دراسة علمية موضوعية، باستجلاء العلاقات السببية والارتباط بين المتغيرات المدروسة، سواء أكانت مستقلة أم تابعة.

3- المدخل الماركسي:

يرتبط المدخل الماركسي كما هو متعارف عليه على النظرية الماركسية والتي تعود لصاحبها، المفكر الألماني كارل ماركس (1818-1883)، وهو فيلسوف ومؤرخ واقتصادي وثوري وعالم اجتماع، وقد ساهمت أفكاره في تطوير علم الاجتماع، وانتشار الماركسية في المجالات السياسية والاقتصادية والمجتمعية، وقد عرف بالمادية التاريخية والفلسفة الجدلية، ونقذه اللذيع للرأسمالية والبورجوازية على حد سواء، ودفاعه عن الطبقة البروليتارية في وجه الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج لذلك انضم إلى الجمعية العالمية للعمال، وعرف كذلك بطابعه الثوري ضمن الطبقة العمالية، وكان يقول بتغيير العالم بدل تفسيره وقد تركت أفكاره بصمات واضحة على مجموعة من الكتابات التي تندرج ضمن الماركسية، سواء أكانت كلاسيكية أم معاصرة.

ظهرت الماركسية في سياق تاريخي تميز بالصراع النضالي والجدلي بين البورجوازية مالكة وسائل الإنتاج، والطبقة العمالية صاحبة القوة الإنتاجية، وكان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، عصر الثورة الصناعية والعمالية، وكان سبب هذا الصراع هو الظلم الذي كانت تعانيه الطبقة البروليتارية؛ من جراء تعسف الطبقة البورجوازية وبطشها وتجبرها وتعنتها، إلى جانب ماكانت تمارسه من استغلال واستلاب ومعاملة سيئة في حق هؤلاء العمال، وطردهم من أعمالهم ووظائفهم ومناصبهم.

ترتكز الماركسية التقليدية على مجموعة من المبادئ والمقومات الأساسية، كنقد المجتمع القـــــائم؛ والدعوة إلى مجتمع جديد أفضل؛ والدعوة إلى الثورة ونشرها عالميا؛ وإلغاء الملكية الخاصة؛ وتحقيق

المساواة بين الأفراد؛ وتدخل الدولة في تنظيم الحياة الاقتصادية؛ وسيطرة البروليتاريا (العمال والفلاحون) على مقاليد الأمور والحكم؛ وتقييد حرية الأفراد في التملك والكسب والتصرف؛ والتوسع في الخدمات الاجتماعية والصحية، والانتقال من مجتمع اشتراكي إلى مجتمع شيوعي بدون طبقات أو دولة، يشيع فيه المال والملكية الخاصة والنساء، وفي هذا، يقول لينين:"فما بقيت الدولة لا وجود للحرية وعندما توجد الحرية تنعدم الدولة، إن الأساس الاقتصادي لاضمحلال الدولة اضمحلالا تاما هو تطور الشيوعية تطورا كبيرا، يزول معه التضاد بين العمل الفكري والعمل الجسدي، عندئذ يمكن للدولة أن تضمحل تماما عندما يعتاد الناس تماما مراعاة القواعد الأساسية للحياة في المجتمع، وعندما يصبح عملهم لدرجة تجعلهم يعملون طوعا حسب طاقتهم.

تستند النظرية الماركسية إلى المادية الجدلية القائمة على فكرة الصراع الكمي والكيفي، والإيمان بالجدل الثلاثي: الأطروحة، ونقيض الأطروحة، والتركيب، والاعتماد على المادية التاريخية في تفسير تطور المجتمعات البشرية.

المحاضرة السادسة: مجالات علم الاجتماع.

تمهيد:

يقول عالم الاجتماع الشهير **بيتريم سوروكين** في تحديده لعلاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى (إن لكل علم حدودا معرفية في مجال حقله وعلى الرغم من ذلك فإن هناك مواضيع مشتركة بين العلوم) فالعلوم تتداخل فيما بينها سواءً كانت العلوم التطبيقية أو العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، وإن عملية التداخل هذه أنتجت مياين ومجالات جديدة فيها، ونجد هذه الصفة المعرفية في العلوم الاجتماعية بشكل أكثر وضوح وحيوية، فعلاقة علم الاجتماع بعلم النفس، أوجدت لنا مجال أطلق عليه علم النفس الاجتماعي، وعلاقة علم الاجتماع بعلم السياسة أنتج لنا مجال يعرف بعلم الاجتماع السياسي، وهذا ما سنوضحه في هذا المحور المتعلق بمجالات علم الاجتماع حيث نتطرق لمختلف مجالات علم الاجتماع، باعتبارها نقطة التقاء علمين مع بعضها ليشكلا مجالا معرفيا مميزا.

علم الاجتماع التربوي:

من أهم المجالات المعرفية التي تندرج ضمن علم الاجتماع، وتستمد مفاهيمها النظرية والتطبيقية ومصطلحاتها الإجرائية وخطواتها المنهجية من علم الاجتماع العام، ومن ثم يعنى هذا العلم الجديد برصد مختلف العلاقات الموجودة بين المدرسة والمجتمع، على أساس أن المدرسة بمثابة مجتمع مصغر تعكس جميع التناقضات الجدلية التي يعرفها المجتمع المكبر أو المحيط الخارجي، وأكثر من هذا، تعد المؤسسة التربوية قاطرة لتحقيق التنمية المجتمعية الشاملة والمستدامة. ومن جهة أخرى، يهتم علم اجتماع التربية بتتبع تاريخ المؤسسة التربوية، وتبيان تاريخها، وتحديد مفهوم التربية والمدرسة على حد سواء، مع استجلاء الأدوار والوظائف التي تقوم بها التربية، وتحديد مختلف المقاربات التي تمثلها الباحثون في دراستهم للمؤسسة التعليمية في سياقها التاريخي والتطوري.

2- علم الاجتماع السياسي:

إذا كان علم السياسة يبدأ بموضوع دراسة الدولة، وكيف تمارس تأثيراتها في المجتمع، فإن علم الاجتماع السياسي يبدأ بدراسة المجتمع، وكيف يؤثر ذلك في الدولة، أو يدرس العلاقة الموجودة بين المواطنين والدولة ومؤسساتها، أو يدرس العلاقة التي تجمع الراعي بالرعية، أو يدرس أشكال الهيمنة التي يمارسها الأفراد ضد الجماعات الإنسانية، ويعني هذا أن علم الاجتماع السياسي يدرس الظاهرة

السياسية في حضن المجتمع، ويبين مختلف التأثيرات التي يمارسها المجتمع في الفعل السياسي، ثم تفسير الظواهر السياسية في ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتاريخية.

يدرس علم الاجتماع السياسي عدة مواضيع لها علاقة بالمجتمع تأثر وتأثيرا مثل: موضوع القوة، السلطة، الدولة، التطرف، العنف، الثورة، الإرهاب، التنمية السياسية، جماعات الضغط، فعلم الاجتماع السياسي يبرز السياق الاجتماعي للظواهر السياسية أو بتعبير أخر يدرس المشاكل والقضايا والمواضيع والعلاقات الاجتماعية المؤثرة ذات الطبيعة السياسية، وخاصة فيما يتعلق بالإيديولوجيات، وقوى الضغط، والأحزاب السياسية، والنقابات والنخب، والانتخابات.

3- علم الاجتماع التاريخي:

التاريخ هو دراسة الماضي وأثره على الحاضر والمستقبل، وتأتي أهميته لعلم الاجتماع في أن البحوث الاجتماعية هي بحوث تاريخية فعلماء الاجتماع يسجلون الحوادث والظواهر التي يشاهدونها خلال احتكاكهم ببيئة ونظم المجتمع، ويستعمل اصطلاح علم الاجتماع التاريخي في دراسة الحقائق والحوادث الاجتماعية.

فمحاولة فهم التاريخ من ناحية اجتماعية، ومعرفة أصول هذا المجال وأهم تياراته كان قديم وحديث وهو من نتاج فكر القرن التاسع عشر، فقد ظهر مع أفكار كارل ماركس وماكس فيبر وغيرهم من المؤسسيين الكلاسيكين الذين تخصصوا في كل الدراسات كان من بينها طرح رؤاهم المنهجية لتدريس علم الاجتماع والتاريخ معا.

فعلم الاجتماع التاريخي هو نوع معين من الدراسة المقارنة للجماعات الاجتماعية كدراسة تكوينها وعلاقتها وظروفها الاجتماعية

4- علم الاجتماع الثقافي:

احد فروع علم اجتماع العام، يدرس الممارسات الثقافية أي العلاقة بين البنى المعرفية أو الفكرية أو الثقافية أو الدينية في علاقتها بالأطر الاجتماعية أي أن هناك علاقة جدلية بين الثقافة والايدولوجيا – البناء الفوقي و بين الواقع المادي الاجتماعي والبناء التحتي.

وهناك من يرى انه يجب تحليل طبيعة العلاقة الموجودة بين أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية، ومن رواد هذا الفرع الفريد فيبر الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء فرع جديد من فروع علم الاجتماع يدرس الثقافة أطلق عليه علم الاجتماع الثقافي، إلا أن عملية الحضارة تقوم على استمرار التفكير والتقدم العقلي، فالحضارة تمثل المجهود الإنساني في سبيل السيطرة على عالم الطبيعة بوسائل عقلية في ميدان العلوم والحياة العملية والتخطيط في حين أن الثقافة تقابل الفلسفة والدين والفن فالحضارة تراكمية والثقافة غير تراكمية.

ونظرا للأهمية التي احتلتها نظرية الفريد فيبر في ميدان تطوير علم الاجتماع الثقافي فقد حللها عدد من علماء الاجتماع و علقوا عليها وفي مقدمتهم بوتومور الذي ناقش موضوع التفرقة بين الحضارة والثقافة مركزا في ذلك على أعمال Alfred Veber على أساس انه يعتبر من ابرز الذين قدموا تفرقة واضحة في هذا المجال فلقد ميز بين ثلاث عمليات في التاريخ الإنساني هي : العملية الاجتماعية، الحضارة والثقافة

5- علم الاجتماع القانوني:

علم الاجتماع القانوني هو ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يدرس القانون كنظام اجتماعي قائم وفعال ومؤثر في تنظيم المجتمع، ومعنى النظر إلى القانون كنظام اجتماعي التفكير بعمليات صنع القانون، وتنفيذه (أو إعمال نصوصه وتفعيلها على أرض الواقع الاجتماعي)، وتأمل الغايات التي تسعى إلى تحقيقها تلك النصوص القانونية، فعلم الاجتماع القانونيّ يهتمّ بدراسة القانون والأنظمة القانونيّة وعلاقتها بالتركيب الاجتماعيّ، ويراعي في كل ذلك تتبع تأثير حقائق الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي على عمليات صنع القانون وتنفيذه ورسم الغاية منه أصلا.

وهكذا يتفق الدارسون على أن مصطلح علم الاجتماع القانوني يعني دراسة القانون والنظم القانونية في تركيبها الاجتماعي، وتمتاز هذه الدراسة عن الدراسة التحليلية للمعايير من جهة، وعن الاتجاه الفلسفي والسببي من جهة أخرى، فعلم الاجتماع القانوني وصف لعديد من الاتجاهات المعنية بالعلاقات الموجودة بين القانون والحقائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية، تلك الحقائق المناسبة لفهم متضمناتها الاجتماعية العلمية.

6- علم الاجتماع الاقتصادي:

يعرف (ساملسون ونوروهاس) الاقتصاد بأنه دراسة الأنشطة ذات العلاقة بإنتاج وتبادل السلع ويقولان أيضا أن الاقتصاد هو علم الاختيار، فهو يدرس أسباب اختيار الناس واستعمالهم الموارد القليلة والمحدودة الأرض والعمل والآلات والمعرفة التقنية) لغرض إنتاج سلع متعدّدة، ويقومون بتوزيع هذه السلع لمختلف أفراد المجتمع لغرض استهلاكها.

ويتّضح من هذين التعريفين لعلم الاقتصاد العلاقة الوثيقة بين علم الاجتماع وعلم الاقتصاد، حيث أن علم الاجتماع يهتم بأنشطة الفرد داخل المجتمع، والعلاقة التي تربط هذه المؤسسات الصناعية بالمجتمع المحلي.

وتأتي أهمية هذه العلاقة بين العلمين عندما يتناول الباحثون والدارسون العلاقة بين المؤسسات الاقتصادية في المجتمع من ناحية وبين الجماعات العاملة في هذه المؤسسات من ناحية أخرى ووسائل الانسجام والصراع التي يصلون إليها.

كما يؤكد علم الاجتماع الاقتصادي على علاقة الأفراد أثناء قيامهم بعمليات الإنتاج وقدرتهم على العمل بكل إتقان أملا في استمرار وتقدم المجتمع الذي ينتمون إليه محقّقين من وراء ذلك ديمومة لمكاسب أرزاقهم وتحققيهم لمستوى معيشي مقبول يرفع من منزلتهم في المجتمع.

7- علم النفس الاجتماعي:

يعتبر علم النفس الاجتماعي نقطة التقاء بين علم النفس وعلم الاجتماع، فهو الدراسة العلمية لسلوك الأفراد والتي يمكن من خلالها تفسير وتوقع التأثير المتبادل بين أعضاء الجماعة، ويمكن الاستعانة بالأدوات العلمية لتفهم الظواهر النفسية الاجتماعية أو تحليل الآراء والمعتقدات والاتجاهات والمشاعر الخاصة بالأفراد والمؤثرة في سلوكهم .

ويؤكد ألبورت التداخل بين علم النفس وعلم الاجتماع ليقدما لنا مجالا يعرف بعلم النفس الاجتماعي، فبداية هذا العلم كانت مع تأسيس مختبر نفسي على يد الألماني فونت، فبدأت رحلة علم النفس الاجتماعي بالظهور، وانطلقت جملة من الدراسات في علم النفس الاجتماعي، فعلم النفس الاجتماعي يهتم بالطريقة العلمية والخاضعة للتجريب والقياس، في دراسة الأفكار والمشاعر والسلوكيات التي تحدث ضمن السياقات الاجتماعية الفعلية والمتخيلة، أما المؤلفين في هذا المجال نجد للعالم النفسي مكدوكل والعالم

الاجتماعي روس فالأول اعتبر أن السلوك وظيفة للدفاع عن البيولوجية الموروثة (الغرائز) أما روس فاعتبر السلوك الاجتماعي وظيفة للتفاعل الاجتماعي .

يبحث هذا العلم في السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات مع الاهتمام بكيفية تأثر السلوك بمجرد وجود أشخاص آخرين أو بتأثيرهم على السلوك، ويركز علماء النفس الاجتماعي على عمليات مثل: التنشئة الاجتماعية، ديناميكية الجماعة، القيادة، الدعاية، وتكون الميول والاتجاهات النفسية، المعايير الاجتماعية والقيم، الرأي العام.

وقد تزايدت أهمية البحوث والدراسات في علم النفس الاجتماعي بسبب حدوث أنواع من السلوك الجمعي التي يصعب تحليلها أو التنبؤ بتطوراتها من خلال ربطها بالحياة الواقعية للجماعة.

8- علم الاجتماع الصناعي:

تعددت تعريفات علم الاجتماع الصناعي حسب اهتمامات العلماء وكذلك حسب تخصصاتهم الدقيقة ويكاد يتفق معظم علماء الاجتماع على أن علم الاجتماع الصناعي يشكل فرعاً مستقلاً في إطار علم الاجتماع العام، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم حول تعريف علم الاجتماع الصناعي تبعاً لاختلاف وجهات نظرهم بالنسبة إلى الظواهر التي تدخل في إطار هذا العلم. كما يدرس علم الاجتماع الصناعي الآثار الاجتماعية للتصنيع بالنسبة للنظام التربوي فتغيّر النظام التقليدي للتعليم وأهدافه التقليدية التي سادت زمناً طويلا، بحيث أصبحت المدرسة تعلّم الحرفة للطلاب، أي تقوم بالتعليم الفنّي أو على الأقل ِتوجه له بعد أن كانت النظرة التقليدية ترى أن الحرف مهارات عملية تكتسب من الخبرة المباشرة، أما الخبرة العمليّة فيمكن الحصول عليها في المصانع وليس المدارس.

فلا يقتصر تأثير الصناعة على الذين يعملون بها، بل تنتقل تأثيراتها إلى سكان المجتمع المحلّي، بل كل سكان المجتمع القومي، وهو ما يشكل ويثري مواضيع هذين العلمين-علم الاجتماع وعلم الصناعة-.

يهتمّ هذا المجال بالتشكيل الاجتماعيّ للتنظيمات الصناعيّة والعلاقات الناشئة بينها وبين النظام الاجتماعيّ بشكل عام.

9- علم الاجتماع الطبي-الصحة:

يعد علم الاجتماع الطبي مجالا هاما من مجالات علم الاجتماع, ويمثل مجالا مشتركا بين الطب وعلم الاجتماع، أي أنه العلم الذي يهتـم بدراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع وبالصحة والمرض، وهو لا يقتصر على مجرد الدراسة والفهم النظري بل يمتد إلى مجالات البحث التطبيقى، فإن كان الطب يهتـم بقضايا الصحة والمرض وعلم الاجتماع يدرس البناء الاجتماعي، فإن علم الاجتماع الطبي يمثل حلقة الوصل بينهما، أي أنه يدرس قضايا الصحة والمرض في ضوء علاقتهما بالنظـم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية.

فعلم الاجتماع الطبي يعتبر العلم الذي يدرس العلاقة بين المؤسسات الصحية وما يكتنفها من مهام وتقنيات وسياقات عمل وعلاقتها بالمجتمع الذي توجد فيه، أو هو العلم الذي يدرس الجذور الاجتماعية للصحة والمرض وأثرهما على المجتمع والبناء الاجتماعي.

تشكل علم الاجتماع الطبي - في الستينيات من القرن الماضي- من خلال الدراسات التي كانت تبحث في العلاقة بين مفهومي الصحة والمرض وبين الثقافة ونسق القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع المحلي، والتي تنعكس على الوسائل والأساليب التقليدية لعلاج الأمراض أو الوقاية منها، من خلال معتقداتهم

وأفكارهم، مثل : الاعتقاد في الأرواح والظواهر الطبيعية وغير ذلك من مكونات الثقافة المحلية السائدة في كل مجتمع.

وهكذا يتضح أن علم الاجتماع الطبي كأحد مجالات علم الاجتماع، يركز على الدافع الاجتماعي وعلاقته بالظروف والأحوال الصحية لأفراد المجتمع، أي أنه يركز على الظاهرة الصحية والمرضية في إطارها الاجتماعي، ومن تم تنعكس أفكاره على النسق الكلي للمجتمع، وتقدم لأعضائه صورة شاملة عن أهمية العوامل الاجتماعية المرتبطة بالصحة والمرض وعن سلوك المرض، وعلاقته بالخدمة الصحية المقدمة، ونمط الأسرة ودوره في اتخاذ القرار الطبي، وصورة بناء القوة السائدة في المجتمع ودرجة تأثيرها على أداء الخدمة الصحية.

10- علم اجتماع البيئة:

يعتبر علم اجتماع البيئة أحد مجالات علم الاجتماع، فهو العلم الذي يبحث في العلاقة بين الأفراد والجماعات و المجتمعات والانظمة البيئية، لذلك ظهرت الحاجة لظهور علم علم اجتماع البيئة لإكمال تلك العلاقات.

وتجدر الإشارة إلى أن تناول مفهوم البيئية في الدراسات السوسيولوجية كان منذ البداية مع المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع أمثال: دوركايم، وكارل ماركس وماكس فيبر، حيث انطوت أعمالهم ولو ضمنيا على البعد البيئي فالاهتمام بقضايا البيئة في فكر ايميل دوركايم مثلا تتجلى في ربطه بين درجة تعقد البناء الاجتماعي والكثافة السكانية وندرة الموارد والعمليات الاجتماعية، فالزيادة السكانية ضمن موارد محدودة أو نادرة تؤذي إلى زيادة الصراع والتنافس، مما قد يؤدي إلى استنزاف الموارد وتعاظم المشكلات الاجتماعية، ومن العلماء الذين تأثروا بكتابات دوركايم نجد روبرت بارك وارنست برجس وعلماء اجتماع آخرون، قاموا بتطوير الايكولوجيا البشرية في جامعة شيغاغو، وقد ركزوا على نقطتين أساسيتين:

- التماثل الموجود بين التنظيم في المجتمعات الإنسانية والتنظيم في المجتمعات غير الإنسانية.
- التوزيع المكاني للسكان ومكان السكان، والحركة اليومية بالإضافة إلى التغير في التنظيم السكاني للمجتمعات المحلية وارتباط هذه الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية وتطورها